

حماة الإسلام



مُصَافِي نَائِبِي مَجْتَبِي

١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢

الجزء الثاني

١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢

"الجزء الثاني"

م. ب. - نشر نشأة الخارطة الجغرافية لأول شارع
لصاحبها: مصطفى محمد - م.

١٩٥١ م. ٢

عصته العسكر وناذته قواده ، وكان حيشه فوق المائة ألف فلم يكن عنه شيء وتولى أمره الخذلان حتى انهزم وهرب وقتل في قرية أبي صير القريبة من القرياء على الشاطئ ، الغربي لليل الشرقى وهو آخر الخلفاء في هذه الدولة .

ولا بد لنا قبل ختم هذه السطور من ذكر شيء حفظه التاريخ لهذه الخلافة وهو ان بنى أمية وان كانوا أعطوا الملك حقه من الفتوح والتغلب والعدل في القضاء وحفظ الأمن والراحة (وأنى لنا بمثل تلك الأيام) فان الفوضى العلياء التي طهرت في أواخر دولتهم ، والآحاديت التي وضعت مختلفة على الرسول صلى الله عليه وسلم فرقت الأمة الى مذاهب مختلفة كالتحارج والمعتزلة والجبرية وأخرحت الخلافة عن رتبتها العلمية الدينية ، وألعدتها حدها وسمها ما وقام الملك أحيرا على العصية فاحرف عن العدالة العامة والعلم الدينى وهذه أقوى أركان الخلافة ، واستمر التفرق في البلاد الاسلامية ولم يجمع القاده أ الناس على عقيدة واحدة بل تركوهم مع هذا السيل الحارف

لذلك تقوضت دعائم هذه الدولة وانقسمت الى خلافتين : خلافة عباسية في دار السلام ، وسنة أبو بكر المندس ، الأولى الامام السعاج .

الامام عبد الرحمن حميد الحليفة هشام الأموى الذى فر من السجاح ولجأ الى قبيلة زناتة أعظم قائل أفريقيا ، وبحيث داكروا .

حاجاتها الدين هم خير حلواء ، وياقلون سيرتهم الحسة بعد الفراغ من تراحمهم .

سبحانه وتعالى من الحلواء العاسيين . والله أعلم

ترجمه ابى مسلم الخراسانى

هو عبد الرحمن بن سالم وتسميه جماعة المؤرخين لصاحب دولة ، أو صاحب دعوة بنى العباس ، أو صاحب الدولة العباسية ، أو بأمير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

احملوا في نفسه من قاتل ابيه عرى . ومن قاتل ابيه عجمي ومن قاتل ابيه كردى . وقد قال هو عن نفسه (كفاك خبرى عن نبي)

ترعرع أدبياً ، ونشأ ليبياً ، وكان يشار إليه في صغره لفرط ذكائه ووفور عقله ولد في سنة مائة بأصبهان وكان أبوه قد أوصى به الى عيسى بن موسى السراج فحمله الى الكوفة وهو ابن سبع سنين ثم جمع بينه وبين ابراهيم الامام فأقام معه حتى بلغ أشده ، ثم قال له غير اسمك وكنيتك (وكان يسمى أبا اسحاق) فاسمى (بعبد الرحمن وتكنى بأبي مسلم) . زعموا أن الامام وجد لذلك شيئاً في الجفر وتحقق أن الأمر لا يتم على يده الا بعد تغيير اسمه لعلامات رآها ، هو بها أعلم وأخبر

ولعله إذ قدم على الامام شاهد فيه عقلاً وذكاءً ودهاءً فأعجب به ، فعقله عنده حتى كان ما كان من قيامه بالدعوة له في خراسان

يشارك أبو مسلم مع جماعة من الذين طالت أعمالهم ، وقصرت أعمارهم فانه ولد سنة مائة والحليفة يومئذ سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكانت ولايته سبع سنين وعشرة أشهر ودوخ فيها أهل الارض وكان له يوم قتله المصور ثلاث وتلاثون سنة فهو كالأسكندر الرومي صاحب الفتوحات أو كالمقفع حكيم المرس والعرب ، أو سيويه شيخ العربية ، أو أنى تمام أبي الشعراء ، أو ابراهيم الظام أمير علم الكلام ، وغيرهم من لا يقطع العقل بحواز أن تكون أعمارهم القصيرة ظروفاً لأعمالهم الخطيرة التي دونت عنهم

كان أبو مسلم جميلاً قصيراً أسمر حلواً نقي السرة أحور العين عريض الجبهة حسن اللحية وأفرها طويل الشعر طويل الطهر قصير الساق خافض الصوت فصيحاً بالعربية والفارسية حلواً المطلق راوية للشعر عالماً بالأمور لم ير ضاحكاً ولا مازحاً إلا في وقته ولزومه ، ولا يكاد يعرض في شيء من أحواله . تأتية الصوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور ، وتدل به الحوادث الحسام فلم ير مكتئباً ، وإذا غضب لم يستغفره العصب ، كثير العيرة شديد البطش شجاعاً فائقاً ذا عقل ورأى وحرم وتدير . كل هذه الحصال الحميلة والعوت الشريفة هيأت هذا المقدام الهام لأن تتعلق به دعوته بنى العباس ، ويكون به إقامة دولهم وإفادة دولة بني أمية

سئل أبو مسلم فقيل له بم نلت ما أنت فيه من القهر للأعداء ؟ فقال : ارتديت الصبر ، وآثرت الكتمان ، وحالفت الأحران والأشجان ، وسأحت المقادير والأحكام حتى بلغت غاية همتي ، وأدركت نهاية نغيتي .

وبما يدل على علو هيمته أنه ورد حال الدعوى (نيسابور) لئلا على حمار وليس معه آدمي فقصده دار (الدهقان) فدق عليه الباب فصرع أصحابه وخرجوا إليه فقال لهم : قولوا للدهقان إن أبا مسلم بالباب يطلب ألف درهم ودأبه فقالوا للدهقان فسألهم في أي رى وأي عده هو ؟ فقالوا وحده في أدون رى فسكت ساعة ثم أمر له بما طلب . فلما ملك وفتحت نيسابور قيل له خذ ما تريد من مال (الدهقان) المحوسى فقال : (إن له عد أنى مسلم يدا) ثم أنه هداياه فردها ولم يتعرض بشئ له ولا لآتاعه

ومن نوادره أنه كان يتسعل عند خراز بالكوفة فيما يحرز شئاً رأى الناس يتعادون فقال مالدى بهم ؟ قالوا ميل دخل الكوفة فقال : وأنى في دخل قيل الكوفة من العجب ؟ العجب في أقلب دوله وأقيم أخرى بدأت الدعوة العباسية سنة اثنين ومائة على ما اسقضيها وكان أول ظهورها بحراسان (بلدة أنى مسلم) وكانها قارها في المولد لسماعها ونسأ سويه احتفلوا في أول من قدم حراسان من قائل ان يسره وحه رسله بالدعوة من العراق إليها ثم وتى بهم عمرو بن بحر بن ورها السعدى الى سعيد حديقة عاملها ، فقال إن هاهنا قوماً طهر مهم كلام في الخلافة وأعل بهم ، فسألوه فقالوا نحن من التجار وإن لنا في أنفسنا وتجارتنا شعلا عن هذا وحاجات أناس فكفلوهم حتى سدلهم

ومن قائل ان أول من دخل حراسان الدعوة الدن وحهم (تكسر بن ماهان) وفيهم أبو بكره وأبو محمد الصادق وغيرهم سنة سبعة ومائة . ومن قائل انهم دعاة (محمد بن على بن عبد الله بن عباس) . وفيهم رباد أبو محمد دوى همدان . وقد اتفق أصحاب الروايتن أن ذلك وقع في هذه السنة وفي ولاية أسد على حراسان

أساء هؤلاء الدعاة سيرة بنى أمية وأطعموا الطعام على حب بنى العباس ، وصارت المناظرة في تفضيل آل علي وآل عباس حتى بلغ أمرهم أسداً فأحضر زناداً وقال له ما الذي يلعب عليك ؟ قال : الباطل إنما قدمت إلى تجارة وفرقت مالى على الناس . فإذا اجتمع خرجت . فأمره بالخروج فلم يخرج وعاد إلى أمره فحاف منه أسد . وأحصره وقتله بالسيف مع عنبره من أصحابه قالوا ولما بلغ الخبر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال (الحمد لله الذي صدق دعوتهم ومقاتلتهم وقد يقبب مهم قتلى ستعمل) ثم وحده (بكر بن ماهان) سه ثمان عشرة ومائة عمار بن يزيد واليا على شعبة بنى العباس هزل مره وعبر اسمه وتسمى (بحداس) ودعا إلى (محمد بن عبد الله بن عباس) فسارع إليه العوم وأطاعوه ، ثم أباح لهم عدم الصلاة والصوم ودعاهم للفحور بفساء بعض وقال ان ذلك بأمر محمد بن علي ، فظفر به أسد وإلى حراسان وسمل عيديه وقطع لسانه ، فلع ذلك محمد بن علي فترك مكانتهم ومراسلتهم فبعثوا إليه سليمان بن كثير يعلمه أمرهم فصره إلى حراسان وأرسل معه كتاباً محتوماً فقصوه فلم يرفقه الا « سم الله الرحمن الرحيم » فعظم عليهم ذلك وعلموا أنهم حالهوه وبعث للقاء أيضاً بعضي معسنة بعضها بحديد وبعضها بالحاس وأخذ كل واحد من اللقاء عصا وهي إشارة لما كانوا عليه من مخالفته ورجوعهم لطاعه (١)

تم جمعوا أمرهم وقاموا بالدعوة وأسدأ اضطراب حل بنى أمية وهاجت عليهم الفتنه ، وخرج سليمان بن هشام بن عبد الملك من الحرس وأخذ ما كان نعمان من الأموال وأقبل إلى دمشق يلعب الولد ويرميه بالكفر تم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة وهي أول سنة الأعمال الحسيمة توجه فيها سليمان بن كثير وبعده أبو مسلم وجماعة من الشيعة إلى مكة والقوا بأبراهيم الامام ودفعوا إليه ما كانوا يحملون من المال والمتاع ، فكسب كتاباً لآل أبي مسلم يأمره فيه بالعمل ووجه الحراساني ، وعمره اذذاك نحو من أربع وعشرين سنة قال في كتابه للأصحاب والشيعة

(١) هذا المصنف بالحاس أو الحريد . هي علامة النصب الآن في طرق المصنفه ولها ما مر ما أحدث

أما بعد فاني قد أمرت عليكم أيا مسلم فاسمعوا له وأطيعوا أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ففكر على شيوخ الشيعة قبول أمرته لصغر سنه ، وخرج بعضهم الى مكة ليلاقوا الامام فاذا به يجمع على رأيه على أبي مسلم وألزمهم طاعته فأطاعوه ، ثم كتب الى أبي مسلم انك رجل من آل البيت احفظ وصيتي : أنظر هذا الحى من اليمن فالزمهم واسكن بين ظهرانيهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم واتهم ربيعة فى أمرهم وأما مضر فانيهم العدو الفريب الدار فاقتل من شككت فيه ، وان استطعت أن لا تدع بخراسان من يتكلم بالعرية فافعل ولا تحالف هذا الشيخ (يعنى سليمان بن كثير) ولا تعص عليه وادأ أشكل عليك أمر فاكتف به مى)

قام أبو مسلم بالدعوة حق قيام ، ولم يبق قلب ما الاقله على بى أمية ولا بلد الا أوحشه منهم ، فعير الوايا وبدل الصنائير والافكار بمناه وأطهره من حشخ الهاشمية وما كتشف من معاييب الامور فلم تلت الا وقد لزمت الطاعة وتنادت بالدعوة لبني العباس وجاءت من كل الارحاء والمواقع ليقع فى ملكه ما يريد قام أبو مسلم مع النقاء والحياء وبث الدعاة ورز للبعالة والمارة ، فأزال ملك أعدائه عن مستقره ، وتب ملك أوليائه فى نصابه ، فسعى الله صدورا وأدرك نسيجه تارا فتح البلاد وأقام أصل الدولة وفتح معرس هذه الشجرة وغرسها وثنتها ، وأقام مقام أصحاب الدعوة بوثيرة واحدة ومهاج غير مشترك ، ودان بالطاعة مع أصحابه يقتلون فيها ويموتون عليها

أصحابه الخراسانية أصحاب الرايات السود يروون حديثاً مأثوراً معاه (صفة الدين يفتحون عمورية ويظهرون عليها ويقتلون مقاتلتها شعورهم شعور النساء وتياهم تياب الرهان) وهم كذلك كانوا أصحاب صدور سليمة وقلوب باسلة لم تفسدها الأهواء ولم تحارها الادواء ولم تعتقها الدع وهم حير جند لخير قائد ، فكأنهم لم يخلقوا الا لقلب الدول وتأيد السلطان

تم كانت ستة تسع وعشرين ومائة فكتب اليه ابراهيم الامام نستدعيه ليسأله عن أخبار الناس مسار نحوه فى الصف من جمادى الآخرة مع النقاء ،

فلما وصلوا قومس (١) وافاه كتاب الامام يقول له فيه : انى قد بعثت اليك راية النصر فارح من حيث لقيك كتابى ووجه الى قحطبة بمامك يوافينى ، فانصرف أبو مسلم الى خراسان وذهب قحطبة الى الامام بما معه من الأموال والعروض ، ونزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها مفنون (بلدة بمرو) ، ولبس السواد ، وبعث النقباء والنجاء يدعون لطاعة بنى العباس ودارت رحى الحرب والقتال وانتقل أمرهم من القوة الى العمل وأخذت السعة الى الامام علانية ثم عقد اللواء الذى بعثه الامام اليه الذى يدعى (الطل) والراية التى تدعى (السحاب) وأمر باشتعال النيران للتبعية وهى علامة اجتماعهم فاجتمعوا وتأولوا لذلك كلاما فقالوا : (الطل والسحاب) يعنى ان السحاب يطبق الارض وان الآرض كما لا تخلوا من الطل كذلك لا تخلوا من خليفة عباسى الى آخر الدهر

ثم قدمت الدعاة على أبنى مسلم من كل فج وناحية . واثته الرجال راجلين وركابا يكبرون من ناحيتهم فيحيهم غيرهم من ناحية أخرى فتربص بهم مكانه وكان عيد الفطر ، فصبوا مبرأ بالعسكر وأمر سليمان بن كثير أن يصلى به و بالتبعية ويبدأ بالصلاة قبل الحطه بعد أذان ولا اقامة ، وكانت سوأمية تبتدىء بالحطه قبل الصلاة وبالاذان والاقامة مع تغيير كثير فى عدد التكبيرات واختلاف فى كونها تباعا ففعل ، ثم انصرفوا بعد الصلاة الى طعام فأكلوه وكتب أبو مسلم الى نصر بن سيار قائد حيوتس بنى أمية كتاباً قال فيه .

الى نصر

أما بعد ، فان الله تبارك أسماؤه عبر أهراما فى القرآن فقال « وأفسموا بالله -هد- أيامهم لئن حاهم نذير ليكوس أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم الا بهورا استكبارا فى الارض ومكر السيء ولا يحق المكر السيء الا بأهله فهل يطروا الا سسة الاولس فلن تحذ لسة الله تبديلا ولن تجد لسة الله تحويلا »

فتغاضم نصر الكتاب وكسر له احدى عينيه وقال : هذا كتاب ماله جواب
ثم وحه أبو مسلم أشياعه مثل مالك بن الهيثم الخزاعي وحازم بن خزيمة
والتقوا لعسكر بني أمية وحيوشها ، وذهب عبر أولئك الى حبة أخرى فشردهم
عن المواضع والاماكن وقل من قبل مهم كسبنا الخارجي من أكابر القواد
والكرماني وابنه ودحل أبو مسلم (مرو) وصعب له غلبه بد أني منصور
طلحه بن زريق أحد القضاة ، وكان عالما بالحال ملحننا بالحجة . وهو احد
الاتي عشر نفسا المسحين من السبعين الذين استجابوا الرسول محمد بن علي
في اول الامر

ثم دخلت ستة ائتين و ثلاثين ومائة و سبع مائة ابو الهيثم عبد الله بن محمد
ابن عبد الله الملقب بالسفاح بسبب قصص مروان الخمار غلبه ارامه بن محمد
الامام وحسنه وقله (كما هو منسوط في أماكنه من كتب التاريخ) وكان
الامام قد دعى نفسه الى أهل بيته فلذلك وأمرهم بالمسير الى الكوفة مع
أحبه أني العباس عبد الله بن محمد وبالسفاح والطاعة له وأوصى الى أني العباس
الملقب بالسفاح بالخلافة . فاما وقع ذلك ساروا بدهوا الكوفة مع سبعهم
فأرهم أبو سلمة الخلال دار الولد بن سعد مولى بني هاشم . (كما تقدم الكلام
في السدة التاريخية) وحارب القواد وسلب عليه الخلافة ثم ادسوا السلاح
وظلوا حروجه واصطفوا له وأبوا بالدواب فركب ردونا أناني ودحوا دار
الامارة ثم حرح الى المسجد فخطب وصلى بالناس ثم واف الأحرار
مروان (بالراب) ثم التقى به عبد الله بن علي عم السفاح فبرهه المبرمة الكثرى
وفر الى مصر وقل

قامت الدولة العباسية مستدة بأول خلفائها أني العباس عبد الله بن محمد بن
عني بن عبد الله بن العباس وهو الملقب بالسفاح فأمر أبا مسلم على خراسان
ولا زال بها لا يمارها الى ستة سن وتلاتين ثم كتب اليه أبو مسلم بسأدنه في
القدوم عليه والحج فأذن له ووافو ذلك طلبا من أني جعفر المنصور أيضا
الحج فأذن له فلما كانا في الطريق حمل معه ذكر أني جعفر لأن أبا مسلم كان

يكسر الأعراب ويصلح الآبار والطريق وكانت الذكري له . ولما صدر عن الموسم تقدم في الطريق ثم أتاه جبر موت السفاح فكتب إليه يعزيه ولم يهتبه بالخلافة . كل هذا وأمثاله جعل أباسلم في نظر المنصور من أحسن متدأ وأساء معقلاً وقد غلب عليه سوء الظن حتى رجع فيه قبح الباطن على حسن الظاهر وخبت السريرة وفساد النية على حسن الخدمة والبلاء الحسن فأمضى فيه حكمه وقتله بعد أن أسدعاه وأذناه وجالسه مجلساً كثر فيه الأخذ والرد كما سيأتي ذلك في ترجمته ان شاء الله

١٤٦٤-١٤٦٥-١٤٦٦-١٤٦٧

موعظة

(قال الامام العجزي) : لما قدر الله انتقال الملك الى بى العباس هأ لهم جميع الأسباب فكان ابراهيم الامام اس محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بالحجار حالسا على مصلاه مسعولا بنفسه وعادته ومصالح عياله ليس عنده من الدنيا طائل ، وأهل حراسان يهابون عه ويدلون بهوسهم وأموالهم دونه وأكنزهم لا يعرفه ولا يفرق بين اسمه وشخصه . وانظر الى ابراهيم الامام هو سلك الحاله من الانقطاع بداره واعتزال الدنيا وهو بالحجار وله مثل هذا العسكر العظيم في حراسان يدلون بهوسهم دونه لا ينطق عليهم مالا ولا يعطى أحدهم دابة ولا سلاحا ، بل هم يحبون اليه الأموال ويحملون اليه الخراج في كل سنة ولما قدر الله تعالى حدلان بى مروان وانقراض ملك بى أمية كان مروان حليفه مايعا ومعه الخود والأموال والسلاح والدنيا بأجمعها عنده والباس يتفرقون عه وأمره يضعف وحله يضطرب فما زال يصمحل حتى هزم وقيل وأكلت لسانه هرة فعلى الله عما يتشركون اه

« قل اللهم مالك الملك توتى الملك من تشاء وترع الملك من تشاء وتعر من تشاء وتدل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير . تولج الليل في النهار وتوحي النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب »

أبو جعفر المنصور

نستفتح الخلافة العباسية باسم هذا الخليفة العظيم ثاني الحلفاء العباسيين
 لأسباب : منها أن جماعة المؤرخين قالوا ان بنى العباس فاتحة ، وواسطة ، وخاتمة
 والفاخرة عندهم المنصور ، والواسطة المأمون ، والخاتمة المعتضد . ومنها أن
 مدة السفاح لم تطل . ومنها أن هذا الخليفة أحق بالقديم لانه جمع أشات
 الفضائل بما أعطاه الله من القوتين : العلية ، والحرية

هو أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . ولد
 في شهر ذي الحجة سنة خمس وتسعين ، وأدرك حده ولم يرو عنه وروى عن
 أبيه وعن عطاء بن يسار . وبيع له بالخلافة في شهر الحجة سنة ست وثلاثين
 ومائة وتوفي لست حلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة بئر ميمون
 مع السحر وهو محرم ، ودفن بمقبرة المعلاة والمسافة بينهما ثلاثة أميال . فدة
 خلافته اثنا عشر سنة ، ومدة عمره ثلاث وستون سنة

كان أسمر نحيفا حفيف العارصين وقورا كاملا العقل جيد المشاركة في
 العلم والأدب فقيه النفس فصحا بلغا موهبا حلما بالامارة وحروتها
 مدرا لأمور المملكة

قسم زمانه وساعاه قسمة حكمة ، فكان صدره بهاره الأمر والهي والولائات
 والعزل وتنح العور والأطراف وأمن السل والبط في الخارج : المققات
 ومصلحة معاش الرعية والبلطف سكوتهم وهداهم ، فاداملى العشر جلس
 لأهل بيته ، فادا صلى العشاء الآخرة حاس للطر في كسب العور والأطراف
 والآفاق وساور سماره ، فادا مضى تلب الليل فام إلى فراسه فادامضى اللب هام
 فتوصا وصلى حتى يطلع الفجر وجرح للناس فصلى ثم يدخل ايوانه

وكان له العدل واستقامه أمور المملكة يستقل دانا ، وقد سمع منه
 أنه قال . (ما أوحى أن يكون ، على ناني أربعة مهر فاصلا أحده في الله لومة

لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، وصاحب خراج لا يظلم الرعية ، ثم عض على أصبعه وتأوه ، فقيل ماهو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب الىّ خبر هؤلاء على الصحة)

نمت في عصره القوة العلية فقد عاصر كثيرا من الأئمة الأجلاء : منهم الامام أبو حنيفة ، الامام مالك بن أنس . وكثر تدوين علماء المسلمين فيه العلوم : كالحديث والتفسير ، وصنف ابن جرير بمكة ، ومالك الموطأ بالمدينة ، والاوزاعي بالشام وابن أبي عروبة وحامد سلة وغيرهما بالبصرة ، ومعر باليمن ، وسفيان الثوري بمكة ، وصنف ابن اسحاق المعازي وأبتدأ تدوين العلم وتبويه ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وكان الأئمة في هذا العصر يعلون العلوم املاء من حفظهم

هو أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية كاقليس وكليلة ودمنة ، وكان هو أعلم الناس بالحديث والانساب مشهوراً بطله . كان بليغاً لساً فصيحاً أخرج الأصمعي وغيره أنه صعد المبر فقال : (الحمد لله أحمده وأستعيه وأؤمسه وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله الا الله لا شريك له) فقام اليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين اذكر من أتى في ذكره ، فقال : مرجأ . مرجأ لقد ذكرت حليلاً ، وخوفت عظيماً ، وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، والموعظة ما مدت ، ومن عدنا حرحراً ، وأت ياقائلها فأحلف بالله ما الله أردت واما أردت أن يقال قام فقال فعوقب فصر فاهون بها من قائلها واهتبلها من الله فاني قد غفرتها وإياكم معشر الناس من أمثالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فعاد الى خطبته كأنما يقرؤها من إقرطاس

كان المنصور من أعظم الخلفاء ذوى الآراء التامة الصائبة ، وأعلمهم وأعقلهم وأحزمهم وأشجعهم ، وله من التدبيرات السديدة ما يستحق أن يدون ليحتذى به ويؤخذ منه ويقاس عليه

ومن أغرب ما يؤثر عنه مما يدل على تقطعه ودقه أنه لما أدرسته الوفاة قال لابن المهدي : يا ابن المهدي ان في بيت المال مالا أحدثه العمال من أصحاب الحمايات

على وجه المصادرة تأدياً لهم وزحراً ، ولقد أهدت كل شيء منه وكتبت عليه أسماء أصحابه فرمى ما كان منهم ما يوجب رده إليهم

كان أعلم الناس بصط أحوال الممالك وترتيب القواعد واقامة ناموس كل شيء . غالب الدهر والايام حتى كف عاديها عنه ، وتوطدت أركان الممالك له وعظمت هيئته في النفوس ، ولولا نأسه وشدة مادانت الأمصار اليه بعيدها وقربها وأصحت حلافته موطنه الأركان فوجبة البيان ، فان آل مروان لم تبطل رعيهم . وآل أبي طالب لم تعتمد سؤفهم ، والناس قد رأتهم أمس على حال واليوم أصبحوا عليهم خطاء

كان حارماً لا يعرف الله ولا مأسه الله ولم يدر في داره ذلك . قال سلام الارسل كنت أخدم المصور داخلا وكان من أحسن الناس خلقاً في الخلوة بل من أشد الناس احباً لما يكون فيها ، فادا خرج من المجلس العام ارى نوره وكان مع ما وهه الله من السودود والمحد فقير النفس ، فكان رفع يديه ويلبس القمص الخشن (ونعم المتلى)

كان تنحاعا صارماً معادماً لا يرهب الموت ، يعطى لاهاب عدوه فال يردس عمر من هيرة مارأب رحلا في حرب أو سلم أمكر ولا أسكر ولا أسد تعطلا من المصور حاصر في تسعة سهور ومعى فرسان العرب فخذوا الحشد الحشد فلم نل من عسكره شيئاً وحصر ومافى رأسه شجرة نصا . وانقضى الحصار وانس فيها سوداء

يعد مخاطراً من فرط سخاعه حتى قيل انه أخطأ في باب قبل أن يمسلم وهو في حماه قليلة . وحين خرج الى الشام ، ولو احتلف بهما بالعراق لذهب الخلافة ويوم الراويديه ، ولو أصابه بهم لذلك المماكة وعدا الكل أنرا بهد عين . فأما قتله لأنى مسلم وحروجه الى الشام فقد تفقد ذلك لعصر الآيام الكبر المعحر يوم الراويديه

وصعوة الحر أن حماة من أهل حراسان يبلغ عددهم مائة نفس هؤلاء بالتاسع على رأى أن مسلم أحاطوا بعصره وهالوا أدب إلمسا ، فعصت ، وقال

يدخلهم الله النار في طاعتها ولا يدخلهم الجنة في معصيتها ، وحسن رؤسائهم فعمدوا الى نعل فارع وحملوه كأنه حازة وقصدوا السحر فألقوه أمامه وكسروه وأخرجوا من فيه وقصدوا القصر ، فخرج بنفسه ماشيا (١) وصاحت الناس وغلقت أبواب المدينة ، ومازال حتى حى له بدانة فركها ، ثم جاء مع س زائدة وأخذ بلجامها وصار يقاتل قتالا مارؤى قلبه ويقتل بين يديه ويحميه حتى طعنت الفتنة فمس أى ملك أو سلطان يؤثر ذلك ؟ لاندري . على ان هذه الأمور طالما كانت سببا لصياغ البلاد تقوم الثورة المدرة فتعقد يد الأمير عن التصرف فيها فتتسع (ومعظم النار من مستصغر الشرر) فضلا عن أن تلم بطرف أحى فلا تلت المدينة أو المملكة الا وقد أصبحت معها للعدو كما رأينا ذلك

وقد كانت هذه الواقعة سببا لسائه بعدد لأنه كره الإقامة بالهاشمية فساها بعد ما أجمعت جماعة الحكماء على فضل مكانها دحلة والفرات محيطانها ، والميرة تأتي إليها في دحلة من ديار بكر ومن البحر والهد والصد . وفي الفرات من الرقة والسام وخراسان وبلاد العجم متوسطة بين الصرة والكوفة وواسط والموصل والسواد والساكن فيها قريب من البحر والبر والحل ، وهي مدينة مباركة قالوا انه لم يمت فيها خليفة

ابتدأ فيها سنة خمس وأربعين ومائة وأتمها سنة ست وأربعين ، وجعلها شبه دائرة وقصره في مركزها قالوا . ليكون قرنه من جميع الناس واحد . فصرف عليها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم ، وبلغ من دقة أمره في حسابها انه تقاضى الواقى لعاية خمسة عشر درهما (وهكذا من أحد حقه أعطى حق غيره) ثم بنى الرصافة وشيدها

أحاطت بخلافته الفتوق والحوادث من كثرة الخارجين عليه ، فأفتت الفرسان وقتلت الاصار ، وعلت يد الخلافة ، وأدانت الآلهة بأس بعضها ، وأتلفت الحصون والملاحى . ، وبددت المعاقل

وكفى بالحيوتس الحراساية التي كانت مع الأمير (إسادسر) أى (الخارج

(١) لانه لم يكن في القصر حانة ومن ذلك اليوم رطت في التوبة بدور الخلعاء

بلا سند ولا دليل) فقد عظم خطرها ، واستفحل شرها ، واشتد الأمر على المنصور ، فان ضريبة جيشه كانت ثلثمائة ألف مقاتل مابين فارس وراجل ولم يزم اسناد سر حتى قتل في موقعة واحدة من رحاله سبعون ألفا في واقعة مشهورة أدته حالة الملك ورغبته في استقامته باستئصال جرائم الفساد أن هجم بالعقوبة وتناسى العفو ، فكان جبروت خلافته شديدا ، ولم تفتح في مدة خلافته الا « طبرستان » لأن الحروب مع الخوارج غلبت عليه دخل في طاعته ممالك الاسلام التي اقتسما الصحابة رضى الله عنهم وبنو أمية إلا الأندلس بقيت بيد أهلها يتقاتلون على الامارة حتى قدم عليهم ، فأصبح للإسلام رئيسين يتنازعان السلطة . العباسية في الشرق ببغداد ، والاموية في العرب بالأندلس

ومن فضائل هذا الخليفة أنه وسع المسجد الحرام بمائى در الندوة ، وحصل بينه وبين ملك الروم الفداء واستنقذ أسرى المسلمين ، وحج حجة أعندق فيها على الناس حتى سميت عام الخصب . ووقع فيها بننه وبين رجل من الحديث ما فيه مردجر يتقله مه مع حروته ولا تأخذه أفة الملك . وانا ذا كروه ولو طال . فانه مما يطرر بالدرر والآل

قالوا : حج أبو جعفر وكان يرحل الى الطواف في آخر الليل يطوف ويصلى لا يعلم به أحد . خرج ذات ليلة سحرا وبناهو يطوف سمع من يقول : اللهم إني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الأرض وما يجول بين الحق وأهله من الظلم ، فأسرع المنصور حتى ملأ مسامعه منه ثم خرج ودعاه وسأله عن الذى سمعه فقال له . ان أمتى على بصي أنثك فأمنه وأدناه وسأله فقال .

(يا أمير المؤمنين ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله وما ظهر من البغي والفساد في الأرض انما هو أنت . قال ويحك كيف يدحلى الطمع وكل ما أريده في قضتي ؟ قال وهل دخل على أحد من الطمع ما دخل عليك يا أمير المؤمنين . اب الله عز وجل استرعاك أمور المسلمين وأموالهم فأعملت أهورهم ، واهتممت بجمع أموالهم ، وحملت بك وبنهم حجابا من الحص

والاجر ، وأبوابا من الحديد ، وصحبة معهم السلاح ، واتخذت وزراء وأعوانا
 بخرقة ان نسيت لم يذكروك ، وان أحسنت لم يعيوك ، وقويتهم على ظلم الناس
 بالأموال والرجال والسلاح ، وأمرت أن لا يدخل عليك من الناس الا فلان
 وفلان ، ولم تأمر بايصال المظلوم والمملوف والجائع والمارى ، وما أحد الا وله
 فى الأموال حق . فلما رآك الذين استخلصتهم وأثرتهم على رعيتك وأمرت
 أن لا يغيثوا عنك تجي المال ولا تفسمه قالوا قد حان الله فما نالنا لا نخونه ؟
 واتمروا على كتم أحوار الناس عنك الا ما أرادوا ، ولا يحالف أمرهم عامل الا
 اقصوه حتى تسقط منزلته ، فلما انتشر ذلك عظمهم الناس فهابوهم وصاحبهم عمالك
 بالهدايا والأموال ليقبوا بها على الظلم ، ثم فعل ذوو الثروة والقوة من رعيتك
 اينالوا ظلم من دونهم ، وامتلات بلاد الله بالطمع بغيا وفسادا وصار هؤلاء
 القوم شركاءك فى سلطانك وانت غافل ، وان جاء متكلم حيل بينه وبين الدخول
 اليك . وان أرادوا رفع قصة اليك وجدوك قد نهيت عن ذلك ، وأوقف للناس
 رحلا يطر فى مطالهم فان جاء ذلك الرجل فلغ بطايتك سألوا صاحب المظالم
 أن لا يرفع مطلبه اليك فان صرح صرب وأنت تنظر ولا تنكر ولا تعير فما بقاء
 الاسلام وأهله على هذا

كانت سوامية لا ينتهى اليهم مظلوم الارفعت مطلبته ، ولقد كان الرجل
 يأتى من أقصى الارض حتى يبلغ باب سلطانهم فينادى يا أهل الاسلام فيتندروه
 فيرفعون مطلبته الى سلطانهم فيتصف له ، وقد كتب يأمر المؤمنين أسافر الى
 أرض الصين وهما ملك فقدماتها مرة وقد ذهب سمع ملكهم فجعل يبكي فقال له
 وزيره : مالك تنكى لا بكت عيناك ؟ فقال أما انى لست أسكى على المصيبة اذ
 نزلت فى ولكن على عدم سمع صراح المظلوم بالباب أبكى ، ولئن ذهب سمعى
 فان بصرى لم يذهب نادوا فى الناس ان لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم . فكان
 يركب الفيل فى طرقى النهار هل يرى مظلوما فيصمه

هذا يأمر المؤمنين مسرك بالله تعالى قد علقت عليه رأفته بالمشركين ورقته
 على شح نفسه فى ملكه وأنت مؤمن بالله عروحل واس عم بنيه الا بعلك رأيتك

بالمسلمين على شح نفسك ، فانك لا تجمع الاموال الا لواحدة من ثلاثة . ان قلت
أجمعها لولدى فقد آتاك الله تعالى هذا الطفل الصغير وماله على الأرض
مال وما من مال الا ودوبه يد شحيحة تحويه ولا يزال الله عز وجل يلفظ بذلك
الطفل حتى تعظم رعة الناس اليه ، ولست الذى يعطى ولكن الله تعالى يعطى .
وان قلت اجمع المال لتشييد سلطانى فقد أراك الله عز وجل عرا بفس كان قبلك
ولم يعن عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة وما أعدوا من السلاح والكراع ، وما
ضرك وولد أليك عند الله بن عباس ما كت فيه من الضعف حين أراد الله عز وجل
بكم ما أراد . وان قلت اجمع المال لطلب عاية هى أحسن من العاية التى أنا بها ، فوالله
ما فوق ما أت فيه الامتلاء لا تدرك الا بالعمل الصالح . بأمر المؤمنين هل يعاقب من
عصاك من رعيك بأشد من الفل ؟ قال لا فكيف تصنع بالملك الذى حبل لك
مأرب فيه من ملك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن يعاقب من
عصاه بالخلود فى العذاب الاليم ، وهو الذى يرى منك ما خفى بك فما تقول اذا
اترع ملك الموت الدنيا من يدك ودعاك الى الحساب هل يعنى عك ما كنت
فيه شتئا ؟ فكى المصور حتى ارتفع صوته سم قال (لى لم أخلق ولم أك شتئا
كف احيالى فيما حول ولم أرم الناس الا حائنا) فقال بأمر المؤمنين
عليك بالائمة الاعلام المرشدين ١١ قال ومن هم ؟ قال العلماء قال فروا لى
قال هربوا مخافة أن تحملهم على ما ظهر من طريقك ولكن افصح الانوار وسهل
الحجاب وانتصر للمظلوم وامع وحد السى بما حل وطاب واقسمه بالعدل . أنا
صام لك أن يأتسك من هربك فعاوبك على صلاح أميك ورعيك .
فقال المصور . اللهم وفقى ان أعمل بما قال هذا الرجل

ولا عجب من سكوب أن جعر واصعائه لمعال الرجل وطلبه التوفيق فى
العمل بما قال لانه يتحرى الحى من الباطل ويعلم صحه ما قال له ويبرل الله وهو
متسم المعالى ويصالح امامه كما سمعت

أكر حر للعرقى على السرقى الآن أن يحر عليه فان فى أهل العرب من
الرجال من يبادر ملوكهم بكلمة الحق وقوله الصدق ، وان هؤلاء الملوك لا يصدقون

عن النصيحة ، ولا يأفون منها مادامت عوناً لهم على طرق الحق واكتساب الخير ، ولكل كل الذى سمعاه عنهم دون هذا الموقف الذى ذهبت فيه معاني الخلافة من القهر والقوة والقدرة واستمعت فيه النصيحة بما يجب لها من الخضوع والخشوع

واعجب من هذا ما أحرجه عبدالله بن صالح قال . كتب المصور الى سوار ابن عبدالله قاصى البصرة بان يظفر فى الأرض التى يخاصم فيها فلان القائد وفلان الآخر وان يدفعها الى القائد فامنع القاصى وقال انها من حق الآخر وكتب للمصور بذلك . فكتب اليه . والله الذى لا اله الا هو لن دفعها الى القائد . فكتب اليه سوار يقول . والله الذى لا اله الا هو لا أحررها من يده الا بخفى فلما حاهم الكتاب قال ملائكتها والله عدلا وصارت قضائى تردنى الى الحق لو كان أبو جعفر غير معلول البدن وكانت الحروب التى نأشرها مع الخوارج عليه فوحا فى بلاد العير كان ربه يعد من أكر الأزمان فى الفتوح والأعمال الحربية كما عد أكر رمن فى الصوح العلوى والقدم فى المعارف . ولكن قدر الله أن يكون سهما ييسا فى تلك المدة كما قدمنا وذلك من المنازعة على الملك وسمو الآمال اليه وعدم دفع الخارجين عليه الا بالقوة الغالبة أو بفرضوا

كانت حرائر أبن جعفر ملائى بأنواع الاموال وحيوشه على قدم الاسداد ، ولولا ذلك ماتت له الخلافة وهاهيك بوصفه للمهدى وقوله فيها (انى قد جمعت لك من الاموال ما يكفىك لارراق الخند والبعقات على اختلافها عشر سنين ، فاحتفظ بها فانك لاتزال عريرا مادام ييب مالك عامراً وأوصيك بأهل بيتك حرياً فان عرك عرهم وانظر مواليك فانهم مادك لتشدتك واياك والتدبر فان الوائت غير مأمونة ، ولا تتجاوز ما أمر الله به وأعد رحالا بالليل لمعرفة ما يكون بالهار ورحالا بالهار لمعرفة ما يكون بالليل ، وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من تدب على نالك وسهل ادلك للباس ووكل هم عيا غير نائمة ونفسا غير لاهيه ولا دم واياك فان أباك لم يم مد ولى الخلافة ولا دخل عيه العمص الا وقلبه مسدق)

نقب على أحسن ما توصف به الرعية ، وطلب تحقيقه من الامة والملة فقال
(وأسروا كما تعلنون) لأن أقبح ما تكون الامة وفي صدرها دخل سواء كانت
تصره لبعضها أولاً ولياء أمورها

طلب منهم خفض الجناح واقرنه بنشر المعدلة فيهم وطى الاصر عنهم ولا
أجل من ذلك في معاني الحكم بالعدل والملك بالحق .

حكم على نفسه بأن يفى عمره بين الاحسان والعقوبة . وكذلك النفوس
الكاملة تتقلب رعاياها بين رحمتها وجبروتها لكيلا تكون (سكرأ فتؤكل أو
حطلا فترمي)

ووضع الدى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى
كأما المنصور كان ينعى نفسه . فقد أوصاه عنده وداعه وصية من لا يؤمل
اللقاء ، فلم يدع فيها شيئاً من الخير يمكن الاحاطة به الا تقدم فيه اليه ، وأوصاه
بخصال جملة بها واستخلف الله عليه

تولى الخلافة مستأسا بوصية والده هذه متدرجاً خليفاً بالامارة ، لأن الخليفة
المنصور رضى بما ولاه قلبها من الأعمال منذ شب وتأدب وحالس العلماء وبلغ
مبلغ الكمال

أمره على طبرستان وما والاها فاشترأعمالها حتى رهن على أهليته ثم عهد
اليه بالخلافة بعد ذلك فكان العهد اليه عن حرة وحقيقة بطر في مصالح الامة
وكان المنصور تربيضه ولده وولى عهده على أمورها وأعمالها بطر لمصالح هذه
الامة في مماته بطر لها في حياته وحدا الحلواء

روى المهدي، الحديث عن أبيه وعن مبارك بن فضالة ، وحدث عنه يحيى
ابن حمزة وحمزة بن سليمان الضمعي وغيرهما . قال الذهبي وماعليت فيه جرحه
ولا تعديلا

كان المهدي حوادا ممدوحاً محبباً إلى الرعية حس الاعتقاد . قال له يوم
يعقوب وزيره في أمر أراده (هذا والله السرف) فقال المهدي : ويحك يا يعقوب
إما يحس السرف بأهل الشرف ليعلم المكتر من المقل

كان من أوائل فعله في خلافته تنع الرنادقة والقائلين بالناسخ من أهل خراسان الملتزمين حول راية المنع ولوائه . فحاربهم ثم أراد أن يكون دلبه في اذلالهم دليل محب وتنقيب وحنه في أحقادهم حجة برهان واستنساخ لاجبة علة وصوله ، فأمر بصنف كتب الحد في الرد على مسائلهم في الزندة والاحاد ومارال بهم حتى أفهم وطهر الارض منهم

وفي سنة تسع وخمسين ومائه نابع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي ثم من بعده طهرون الرئسد ولده

وفي سنة ٦٠٠ حج بالناس وقسم مالا عظيما في مصارف الخير ، ونقل خمس مائة من الانصار إلى العراق جعلهم في حرسه وأقطع لهم الارراي

حمل الله التلح وهو في مكة وهذا مما لا ينهأ لخلقها فله فقط وما ذلك الا من انتظام البرد وأمان الطريق وملازمة الوارد والمتردد وعدم وجود عائق أبدا

نعم عمر الطريق الى مكة وبني به قصورا أوسع من قصور المصور (من القادسية الى ربالة) ، وحدد الاميال وحصر الآبار ، وأصبحت الطرق آمنة سالحة الى رب الله الحرام ومقام الله عليه السلام ، وأمر باتحاد المصانع في كل منها مهبل ، وسر البرد من العراق للحجاز ومن اليمن إلى مكة الى الحصه وحصص له إنلا ومال لا يحصى وهو بما لم ينفى لغيره أيضا

أمر بترك المخاصمة الي في حوامع الاسلام . قصر الماء وص . هاتل مقدار من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسع المسجد الحرام . آ . زيادة الكبرى فيه وأدخل في ذلك دورا كثيرة ولم يزل يساهم فيه الى وفاء

ثم بدأ في الصوح بلاد الروم فكثرت الفوجات من بلاد مصر وانداد في عثميه ، فيها أنه في سنة ثلاث وستين ومائه تخرج لزمه الفوج ، جمع الاحاد من خراسان وما يليها من الآفاق وصار مستصفا ولده هارون وبعد أن عبر العرب بعد لغزو فحاصر الملاد وأوسجها واحسن في الزيادة

تم سير ابنه هارون في سنة خمس وستين ومائه لغزو الروم فأدب في بلادهم وهرمهم وجمع الله آله الاكثرة وسار حتى بلغ القسطنطينية وكان على

الروم يومئذ (غسطة) زوجة (ألبوك) كافلة لابنها مه صغير
على العدة وان تقام له الادلاء والاسواق في الطريق وبال و
كان عادلا محبا للعدل فاذا جلس للبطالم قال أدخلوا عليّ الـ
ردى للبطالم الا للحياء منهم لكفى

بلغ من تقواه ماحدث به (الحسن الوصيف) قال : أصابتنا ربح . . .
في أيام المهدي حتى ظننا أنها تسوقنا الى المحتر ، فخرجت أطلب المهدي فوجدته
واصعاده على الأرض وهو يقول (اللهم احفظ محمدا في أمته اللهم لا نسئ
سا أعداءنا من الأمم . اللهم ان كنت آخذت هذا العالم بذنبي هذه ناصيتي بين
يديك) قال فما لتنا الا يسيرا حتى انكشفت الريح ورال عما كما فيه

كان سمحا حميلا قال الربيع : رأيته يصلي في جهله في لسة مقمرة فما أدري
أهو أحسن أم الهو أم القمر أم ثياه فقرا « فهل عسدت ان توليتهم ان تفسدوا
في الأرض وتقطعوا أرحامكم » قال فأنتم صلاته تم التمس الى وقال : يارب
فلب لي بك . قال . موسى ، فقلت في نفسي من هو موسى أموسى انه ؟ أم موسى
ان جعفر ؟ وكان محموسا عدى فجعلت أفكر ثم علم على انه موسى بن جعفر
فأحضرته فقطع صلاته ثم قال له . يا موسى إني قرأت هذه الآية (وقرأها)
نخفت أن أكون قد قطعت رحمك فتوق لي انك لا تخرج علي وتودى بحروحك
جماعة المسلمين حتى احليك فوثق له خلاه

ويحق للتأريء لهذا الخبر أن يحاكي الربيع في مقاله ويحاريه فيقول لا أدري
هراءته كلام الله بهذا الامعان والتدبر أحسن أم العلم به في صلة الرحم أم العفو
عن المسيء أم مخافة الله ؟

كان عصره عصر حير وبركة . من الرهاد جمع ابراهيم بن ادهم وداود
الطائي . ومن الاعلام الخليل بن أحمد الفرهودي صاحب العروس وسفيان
الثوري وبنار بن مرد أول شعراء المحدثين

كان مالا للسماحة وقدة في مكارم الاخلاق فالوا كان يصلي بالناس
الصلوات الخمس بالاسجد الجامع بالبصرة لما قدمها فاقبمت الصلاة يوما فقال
(م — ٣ — ل)

اعرابى . لست على طهر وقد رغبت فى الصلاة حلهك . فأمر الناس بانظاره
ودخل المحراب ووقف الى ان قيل جاء الرجل فكبر وصلى
ومن الخبر المأثور عنه فى حب النبي صلى الله عليه وسلم انه اول من قرأ
فى الحطبة ، « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما » قال الأصمعى : سمعت المهدي على منبر البصرة يقول : ان
الله امركم بأمر بدأ فيه نفسه وتبى بملائكته . وقرأ الآية .

كان يتعسس نفسه حال الامه والملة . فاتفق له ليلة انه سمع اعرابية
تقول . (قومي مقترون ، ننت عهم العيون ، فذحتهم الديون ، غصتهم السنون ،
بادت رحالهم ، ودهست اموالهم ، وكثرت عيالهم ، ابناء سدل ، وانفضا طريق ،
وصية الله ووصه الرسول فهل من أمر لى يحير كلاًه الله فى سفره وخلفه فى
اهله) فوصلها وأمر من يوصلها لحياها

واسد عن مهدي بن ساق قال : صاح رجل بالمهدي وهو فى موكة وقال :
قل للحليقة حاتم لك حائن فغضب الاله وأعفنا من حاتم
ان العصف اذا استعان بحائن كان العصف سريكة فى المأتم
فاسوء كل عامل يدعى حائما حتى عرف له صاحب الحانة وتقاصه
واعترضته ادراه فقالت : يا عصبة رسول الله انظروا فى حاجي فقال افصوا
حاجتها وصلوها بعشرة آلاف درهم فانى داسمعت احدا حاطلى بهذا

ومن عذر أهواله قوله (ما يوسل الى احد برسلة هي اقرب من يذكرى
بد اسامت مى اليهأ بمعها احبوا واحسن ربهافان مع الاله احب قطع سكر الاله ائل
هده الترحمة مال تقاس عليه بدحة حسن ربه اولما الاله وير يصهم
على العمل فى أيام ساهاتهم لمكس لهم أن سدوا سطرهم لهم وحقق بهم النظر
فى مصالح الاله لذيرهم وديانهم من أصبحوا أمهنا بها ووسب على جميع الاله عنة
طاعتهم

ان ولى العهد اذا أصبح ليس بده ومن تحصى أسننه الا موت " ، اهد لكان
ذلك سؤما غايه وعلى الاله رأى سرته . فانه بطلى نفسه عن كبر من حصال

الخير ولا يوجد له احساس يدهه حب التعليم ولا يكلفه الوصول لما فيه مرضاة
الامة ، بخلاف ما اذا سلم له الطر في أمر نفسه وأمور المسلمين على نظر من
الحليقة والناس ودفع على الامور ورأى المنشط منها والمكره وسلك فيها
بالاستيعاب حتى يفهم المعنى الذى أصبح من أحله أمير المؤمنين كان ذلك من أجل
دواعي ترقى نفسه في مراقب الكمال ، ووقع المصلحة في اجتماع الناس عليه واتفاق
أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد الذى شأنه أهم عند الشارع من كل شأن لما
فيه من انتفاء الريب

اللهم وفقنا لما تحبه ورضاه ، ويسر لنا ارتباط القلوب واتفاق الاهواء
واحد القوس ، واجعل أئمة ما اتواحد عليه ايار مصلحة المسلمين على كل
شيء في كل تىء من أمر ديارهم وآخرتهم

٢٤٢٠-١-١١-١١٤٤

الرشيء

هو هرون الرشيد وكنيته أبو جعفر (وكان يكنى أبا موسى) ابن المهدي
محمد بن المصور عند الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
تولى الخلافة بعد من أبيه المهدي عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع
عشر بعث من ربيع الاول سنة سبع ومائة هذه الليلة من أعجب الليالي
تولى فيها الرشيد الخلافة ، وولد فيها له عند الله المأمون ، ومات فيها أخوه الهادي
ولس في ليالي الرمن المعروفة ليلة محمص عن موت حليقه وقيام حليقة وولادة
حليقه غيرها . فان كان تم تفسير طابق معنى قول القائل
اللى من الرمان حالى متقلات يلدن كل عجية

فهذه الليلة م ، تلك الليالي

أسد الصولى عن يعقوب بن جعفر قال رأى الرشيد في يومه الذى صلى الله
عليه وسلم في ستة تسع وسين فقال له . ان هذا الأمر صائر اليك فاعر ، ووح
ووسع على أهل الحرمين فقام عاريا أطراف الروم وعم واصرف في شعان

فج بالناس في الموسم و فرق على أهل الحرمين مالا كثيرا وصدق الله الرؤيا ،
وتولى الخلافة في السنة التي بعدها وفيها ولد له الأمين

كانت ولادة الرشيد بالرى في أواخر ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة
وكان مولد الفضل بن يحيى الرمكى قبله سبعة أيام . فأرضعت أم ابن يحيى
الرشيد ، وأرضعت الحيزران الفضل بلبان الرشيد . وكان أبوه المهدي في تلك
الأيام وما بعدها أميرا على الرى وخراسان من قبل المنصور إذ قدمنا في ترجمتهما
هذا هو الحليمه الذى مثل معنى الخلافة ومقامها في عدلها وحليها وانصافها
واقامة عماد دولتها واطهار شأها وحماية ناهوسها ، وحاطها بأنواع الاسباب التى
تدفع عنها المكارة . هو الذى مل البذخ والرف والمحدو السرف والآبه والعز
والعظمة والسودد والعم المقم الذى جمع دواعى اللدائد الدببه والفوائد
الاحروية ، وهو الذى اجتمع له في حلامه ما لم يجمع لغيره . وزرأوه البرامكة ،
وقاضه أبو يوسف ، وشاعره مروان بن أبى حفصة ، ونديمه العباس بن محمد عم
أبيه ، وحاحه الفضل أنه اللاس وأعطهم وأعطهم فهو كما قيل :

ان المكارم والمعروف أودبه أحله الله منها حيب تجمع

كان أمير الحلفاء وأحل ملوك الدنيا ، وكان كبر العرو والحج يعرو ستة
ويحج ستة فادا حج حج معه مائة من الفقهاء وأساتهم . وادالم يحج أحج ثلثمائه
رجل بالعقة الساخنة والكسوة الطاهرة . قال الشاعر :

من يطلب لقاءك أو يرده في الحرم أو أخصى النفور

في أرض العدو على طمر وفي البلد المحرم هو كره

كان معرداً في تعظيم حرمت الاسلام والمالعة في احترام الملأ ، والوعاط .
محبا للعلم وأهله ، معصا الرياء في الدين والمعارضه في النص

كان الرشيد أيضا طويلا حميلا مليحا مصححا . له الطر الباط في العلم والآداب
كثير الصلاة يصلى كل يوم مائة ركعه لا يتركها الا لعله ، وله صدقات من سائر
ماله تريد عن ألف درهم في كل يوم . وكان له تواضع في سرفه أسرف من
السرف ، من أحسنه (وما أحسن تنى كله حسن) ما حدث أبو دعابة الصريه

قال : أكلت مع الرشيد ثم صب على يدي الماء رجل لا أعرفه ، فقال الرشيد تدرى من صب عليك ؟ قلت : لا . قال : أنا اجلالا للعلم ورعاية لاهله . وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله عند الكلام على رحلة السلطان صلاح الدين لطلب العلم . ما أعلم أن للملك رحلة قط في طلب العلم الا الرشيد ، فانه رحل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطاء على سيدنا مالك رحمه الله ، ثم رحل لسماعه أيضا مقتديا به هذا السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب الى الاسكندرية فسمعه على بن طاهر بن عوف ولا يعلم غيرهما أحد . وكان أصل الموطاء بسماع الرشيد في (خزانة المصريين)

كان مولعاً باحترام العلماء ، فن فضائله فيه انه لما بلغه موت ابن المبارك جلس لل عزاء فيه عن أهله ، وأمر الاعيان والامراء أن يعزوه كان بكاء على نفسه يشفق من إسرافه ودبونه سيما اذا وعط ، ولم ير أغزر دمعاً منه عند الذكر ، ولم يذكر له النى إلا قال : صلى الله على سيدى دخل عليه ابن السماك يوما وكان يعطه فاستسقى الرشيد فأقنى له بماء فقال له ابن السماك : على رسلك يا أمير المؤمنين لو سمعت هذه التربة بكم تشتريها ؟ قال : نصف ملكى قال : اشترهاك الله بها ، فلما شرها قال : أسألك لو سمعت حروحا بماذا كنت تشتري خروحا ؟ قال : بملكى قال : ان ملكا قيمته (كذا) و (كذا) لحدير أن لا ينافس فيه فكى الرشيد وقال يوما لسيبان : عطى قال : لئن تصحب من يحوفك حتى يدركك الامم حير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف ، فقال الرشيد فسرلى هذا قال : من يقول لك انك مسئول عن الرعية فاتق الله أنصح لك بمن يقول أنتم أهل بيت معفور لكم وأبم قرانه بكم صلى الله عليه وسلم

كان كأنه حده المصورية وصلاة في الملك ، وحررتا وتدة مع الحق كثير الكراهة للباطل . متبعاً للبرادقة طالبا لهم . وكان القول بخلق القرآن شائعا في عهده فما يطهر بأحد من أهل هذه الآراء حتى يقتص منه أشد القصاص كان شديد الاقتفاء لأعمال حده متطلبا للعمل بآثاره ومحاكاته في أعماله

وصيانة سرير ملكه وحفظ أهله وزيه ، فلم يختلف عنه في شيء الا في البذل والوال ، لانه لم ير حليفة بذل مانذله الرشد في العطايا من مال وخلع فكانت صلته تصل ما بين الانسان وبين العنى ، وتقطع ما بينه وبين الفقر والاحتياج ولى الخلافة بعد ماتقل في مهام أمور ما فقد استعمله أبوه المهدي في الاعمال وريضة عليها ، فحزه مرارا للزور بالصائفة والايقال في بلاد الروم ، وفي سنة ثلاث وستين ومائة ولأه العرب كله وأدريجان وأرمينية ، وجعل كاتبه ثامن ابن موسى ، وعلى رسائله يحيى بن خالد ، فنشأ خير نشء وطهر بغير مطهر كان في عرصه أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر الفلزم بما يلي الفرما (أى أن يفتح ترعة السويس) فساوره وريده يحيى وفكر اطولافا فكشف لهما بوعول الروم ، صحافا من دحوهم بمرا كههم في القلزم وفروهم من الاراضى المقدسة فبرعا عن هذا الصكر

هذه نتائج حواطر ورراء الخبر الذين يدركون قوه حكومهم ، فلا نور طون في أمور لاقبل لهم بها ولا يعررون بأنفسهم ، لانهم يعلمون معنى المسئولية التى تحيط بمكرهم ، فلا يهدون على نى الا ولهم منه مخرج . ولو كان الناس ورير كيحيى لخنق من هذا البلاء المارل أوحده أو لاطلف فاطلف من قصائمه المرم وعاق امتداد الايدى الاحمية عن الحب في هذه الواحى دعه والاسعجار الذى حار حده الحار والفار

اردهى عصره من الاعصار بوحود كثير من العلماء الاعلام فيه كالاداء سيدا مالك بن أنس ، واللب بن سعد ، والكسائى ، وأسد الكرى . وتمد ابن الحسن من كبار أصحاب أنى حصة . وصعصعه من عالم الاندلس وعبرهم ، وهذا أيضا من سعة ررق حلاهد و اراده الله سبحانه وتعالى له البحر ببطانة البحر والملاح والباح الدس بأسمى بهم في كل صلاح

نقل سيئا كبيرا من عوائد الفرس . منها الكرة والصولجان ورمى الناساب في الرحاس والسطرح . وحل لكل منى فاعده ومربه حتى المعلن ، فانه أول من جعل لهم مراتب وطبقات يعرفون بها

كاتب بغداد في عصره بادرة الدنيا وسكتة المدائن ، فريدة في حصار
وعمارتها ، ترقى فيها أساليب المدنية لدرجة لم ير مثلاً كما قدمنا ذلك (في الـ
الباريحية) فأياها أعياد ، ولياليها أعراس ، وسلطانها الممتد سياحه عليها قدم
من قدرها وبه من ذكرها ، وهو بما أسعها عليها من ظله الطليل وما منحها من
العدل والمساواة دعا الناس لسان الامن والامان إلى المدايرة اليها بالمتاحر والعروض
فتناها في الطلب والاقدام على العمل بعلو الهمة ، وحسن للناس في مصنة عدله
وعظمهم برحمه ، فسلم القوى والضعيف والعاجز والعليل وذوى الحاجات ومن
لا وسيلة لهم ، فأراح عن جميعهم العليل وأبطل الاهواء وحرب تديره عنهم كل
آفة تؤدى للقاعس والتقاعد والدمار والحرب

أما غزوه ، وفتح ، ورحه ، وفديته ، فكثير : مه أنه في سنة واحد وسبعين
ومائة حارب الصحح الخارجى بالحريرة وقتله ، وفي سنة ثلاث وسبعين ومائة
غزا الصائفة ورح بالناس وأحرم من بغداد ، وفي سنة أربع وسبعين حج بالناس
وقسم مالا كثيراً ، وفي سنة ست وسبعين ومائة عقد لانه محمد ولالة العهد
ولصبة (الأمير) وأحد له البيعة وعمره خمس سنين تم فتح في سنة ست وسبعين
ومائة (مدينه دلسه) على يد الأمير عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسى ،
وفي سنة واحد وثمانين ومائة غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفصاف
وغزا عبد الملك بن صالح أرض الروم وبلغ أنقره

ثم دخلت سنة اثنين وثمانين ومائة وفيها رلقت قدم الرشيد يد القضاء
والقدر ، وبابح لعبدالله ولده بولاية العهد بعد الأمير وولاه حراسا وما اتصل
بها ولصه (المأمون) وسلبه إلى جعفر بن يحيى (وهذا العمل مه يعد من أعجب
العجب بعد ما حرب عواقبه في نفسه ورأى ما صعه أبوه وحده بعيسى بن موسى
حتى حلع نفسه من ولاية العهد وبعد ما صعه أخوه الهادى معه لخلعه من العهد
وتولية ابنه جعفر ولو لم يعا حله الموت لفعل) ولكن بهذا قدر ، وصاع حذر

تم حج الرشيد بالناس بعدها في سنة خمس وثمانين ومائة ، وسار إلى مكة
من الانبار وبدأ بالمدينة فأعطى فيها ثلاث أعطية : عطاؤه ، وعطاء الأمير ، وعطاء

المأمون. ثم سار الى مكة فأعطى أهلها أيضا ، وولى الأمين العراق والشام الى آخر المغرب ، والمأمون همدان الى آخر المشرق . وباع ابنه (القاسم) بولاية العهد بعد المأمون ولقبه (المؤتمن) وضم اليه الجزيرة والثغور والعواصم وكتب كتابين بالاشهاد وعلقهما في الكعبة فقال الناس قد اتقى بينهم شرا وحربا وخافوا العاقبة وكان ماخافوه

وفي سنة سبع وثمانين ومائة نقص ملك الروم الهدنة التي كانت بين المسلمين وبين الملك (زني) ملك الروم فكتب للرشد كتابا يقول فيه : أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتكم مقام الرخ وأقامت نفسها مقام السدق ، فحمل اليك من أموالها احتمالا لضعف النساء وحقن ، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل فلك من أموالها والا فالسيف بيني وبينك فلما فرأ الرشد كتابه كتب اليه : قد فرأت كتابك والحوادث ما ترى لا ماتسمع . وسار ليومه ولم يزل حتى نازله وفتح مدينة هرقل بالعزوة المشهورة ولم يتزحرج حتى بلغ مراده منه

وفي هذه السنة كانت تمت للرامكة مساركنهم للرشد في سلطانه وعظم في بطر الناس ما لهم من الآثار وبعد الصب ، وكبر ما احصاه به وعمه . وه من . اتب الدولة وحططها ، وما احتاروه عن سواهم من وراره وكنانه وفباده وحجابيه وسيف وقلم واقصرص عليهم الآمال ونحط اليهم من أقصى النجوم والممالك هدايا الملوك ومحف الامراء ، واسحارهم العاني والمعدم والمدد ما حاه . وه فأهاجوا بذلك كامن العبره وسلطوا عليهم بأس الانقام ومكروا منهم جماعة الحساد (والدهر حرب « للمقام » العالي) ونعوذ بالله من علته الحال و . . الحال

وقعت لهم السكة المنسورة التي لهم فيها من فلبهم أسود . ولم يعدهم عبه . كانت دليلا حديدا على أن الديادول . والمال عاريه . بكنه أهسكت لسان المادح . وقطعت لسان الحاسد ، وبكاهها الولي والمولى والعدو والخاصد بكنه . استراحت بعدها الورد من قطع العداهد سعيًا ، وأقسم الجود أن لا يحمي بعد جبي . « ان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو سديد

ثم هادى الرشد في سنة تسع وثمانين ومائة ملك الروم حتى لم يبق

في الأسر مسلم وهو أول هداء كان لبنى العباس وفي سنة تسعين ومائة فتح « هرقل » وبث حيوشه بأرض الروم ، واقتح شراحيل بن مع بن زائدة حصن الصقالبه ، واقتح يزيد بن مخلد (قلفونية) . وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة سار الرشيد نحو حراسان للغزو فوصل طوس فتمرض بها ومات في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة (رحمه الله) وصلى عليه ابن صالح . مات على أشرف حال يرتجيه القائم على أمة شهيد الغربة شهيد الجهاد . فارتفعت روحه الشريفة في مراتب الشهداء تسبح في ملكوت الله في أعلى عِلِّيِّين . ثم أخذ رعاء الخادم البرد والقضيب والحاتم ، وسار على البريد في اثني عشر يوماً من « مرو » حتى قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة ودفع ذلك للأمين

وفد انقضت تلك السنون وأهلها فكأنهم وكأنهم أحلام

هذه سيرة هذا الخليفة الخامس من بنى العباس طالت ولم تستوف شطراً من فضائله . والقصاص ومن لا بصيرة لهم من الكتاب يبسون اليه أشياء في اللهو واللذات المحطورة الله يعلم أنه يرى منها . وأن ذلك هو من العلم والسذاجة واحتجاب المذمومات في دينه ودنياه والتخلق بالمحامد وأوصاف الكمال ونزعات العرب بمرتبة تشبه مراتب السلف ، وحاله في احتجاب الحر معلومة لجميع بطائنه وأهل مائنته ، وكفى تعمره على طيبه تحتشوع دليلاً على ذلك

وكيف يعقل أن الرشيد يواقع محرماً وقرناً وحلساً مثل الفضيل بن عياض وابن السهاك والعمري . وهكأنته سميان التوري وبكاؤه من مواعظهم ودعاؤه بمكة في طوافه وما كان عليه من العادة والمحافظة على أوقات الصلوات وشهود الصبح لأول وقتها

أن الرشيد رحمه الله أجل من أن يرتكب السرف والترف في ملسه وزيته وسائر متناولاته لقرنه من حشونة البداوة وسداجة الدين ، فأنه يقتص له وللمكذوب عليهم من أماله من القصاص الدين دونوا مادونوا عنهم فرية وكذبا وزوراً وبهتاناً ارضاء لحماة العزة الدين لا شغل لهم إلا أحاديث النجاسة والعيبة

وأكل لحم احوانهم كما مما هم أعداء للعلم والدين والسلطان
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

١١٦٧-١١٦٨-١١٦٩-١١٧٠

المأمون

هو عبد الله أبو العباس ابن الرشيد بويج له وهو ابن ثمان وعشرين سنة
ومات سنة ثمان عسره ومائين وعمره ٤٩ سنة واستقل بالامر بعد قتل أخيه
الأمين سنة ١٩٨ وهو بخراسان واكتنى بأبي جعفر . قال الصولي وكانوا يحبون
هذه الكنية لانها كنية المنصور ، وكان لها في نعيمهم حلالة وتناول بطول
عمر من كنى بها كالمنصور والرشيد

ولما تانى الملك للمأمون قال : هذا حسيم لولا أنه عديم ، وملك لولا أنه
هلك ، وسرور لولا أنه عرو ، ويوم لو كان يوثق بما بعده

سمع الحديث من أبيه وعادس العوام وأنى معاوية الضرر وغيرهم وأدبه
اليريدى وجمع من الفقه والادباء حتى برع في الفقه والعربية وأمام الناس وعى
بالفلسفة وعلوم الاوائل ، وهو الذى استخرج كتاب افليدس وأمر بترجمته
وتفصيله ، وهو الذى عقدت في زمانه محالس المناظره حصص لها يوم الثلاثاء
من كل أسوع ، وتروى العلوم في عهده وتفسد بين العرب . وهو أول من
قاس الدرحة الارصيه وعرف مقدارها وأحد من كل العلوم بفسط
وصرب فيها لسهم

وأخرج محمد بن عباد أنه لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء الا عباد
ابن عثمان والمأمون (ولكن في هذا نظر)

استعمل بالحديث حتى قالوا ان الرشيد لما حج معه طلب المحدثين فبعث اليهم
الأمين والمأمون فحدثوهما مائة حديث ثم قال المأمون أنؤدلى ان أنه
من حفظي ؟ قيل نعم فأعادها .

وهو أول من استخرج كتب الفلاسفة واليونان من حرره فربص وهو

الذى قال (لارهوة فى الدنيا ألد من النظر فى عقول الرجال)
 كان المأمون أفضل رجالى العباس حزما، وعزما، وحلما، وعلما وأريا، ودهاء،
 وهيبه، وشجاعة، وسوددا، وسماحة. وله فضائل وسيرة طويلة كلها محاسن
 كان أمارا بالعدل فقيه النفس معدودا من كبار العلماء، احتشد فى رأب
 الصدوع وسد الفتوق واصلاح ما تشعث من بياض الدولة، ولكن الخلاف
 بينه وبين الامين أحبه انتعلت نيرانه وأزكيت تورته بأيدى بطانة السوء بالسعى
 والاعراء وزيادة الوحشه انقاء على أنفسهم وحياتهم الشخصية كالفصل بن
 الربيع وعيسى بن ماهان والسدى وغيرهم أفسدوا دم الاحوة حتى رصى
 الامين لمخلع أخيه المأمون وتوسط المأمون حتى استحل قتل أخيه الامين، وكل
 هذا سببه هذه البطانة التى مارالت تصعر الامين من أمر أخيه وتزين له حلعه
 حتى رجع الى رأبهم وهم يكذبونه ويعتقونه ولا يصدقونه وهكذ بطانة السوء
 فى كل وقت ورمال ليس لها تسعل الافسادات السين وتعبر قلب التابع
 والمتنوع خدمة لمصالحهم الشخصية

اسدع هذه المادى التى ررعت بدورهايد الاعداء أن لا تصعوا الايام
 للمأمون كما يحب ويختار لكثرة الحارحين عليه كاس طابطا العلوى بالكوفة
 الذى سالت الدماء فى فتنه أهارا، وارايم بن موسى باليمن، وتوار بعدد
 الذين اشتد أذى فسافهم على الناس حتى قطعوا الطريق وأحدوا النساء والصبيان
 علانية كأن الامين فتح للناس باب الخلاف ونقص العهد، وكأن المأمون
 جراً الناس على حلعه لمخلع أخيه وقله وعلمهم نكت العهد والبيعة، فكان
 ذلك سببا لكثرة حروح التوار عليه. كأن لله فى ذلك حكمة عجيبة وسراً فى
 حليصه من يظلم يظلم حتى لا يفيض مسوع على تابع ولا تابع على متنوع حفظا
 للعهد ورعاية للبيعة واستكمالاً لأسلوب نظام الحكومة التى مرلة القائم بها
 (حليقة الله فى أرضه)

رأى المأمون كثرة الوار عليه وحروح الكثير بدعوى الخلافة وهم من
 آل البنت، فعمد الى على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر وحل فيه ولاية

عن المسلمين فكان كما قال الشاعر : (كلما داويت جرحا سال جرح) . نبض في
بنى العباس عرق الخلاف وصعب عليهم الأمر وخلقوا المأمون ، ولو لا اتفاق
موت علي بن موسى الرضى لازدادت هذه الفتنة واشتد أمرها وكل هذا
نتيجة وجود الدخلاء من غير الملة والأمة الذين لا يعينهم الاثو ونهم الشخصية
في كل وقت

يعجب الانسان من شأن الخلافة العباسية وبده انحطاطها في عهد أعظم
حلفائها (المأمون) الذي كان في طاقته وقدرته لعله وسعة اطلاعه أن يجمع
كلية المسلمين في منسارق الأرض ومعارها ويمنع حبلهم من الاضطراب
وأطرافهم من الانتقاص ، وان يتعلب بحرمه وعزمه على كل هرج وقفته ونازع
ولكها آية من آيات الله سبحانه وتعالى يدبر الناس بها ليعلموا قوة الدخلاء ،
في الفساد وفي تقويض أمر المسلمين ومنع الساسة من تأييد سلطانهم من شدة
الفتنة التي يدخلوها عليهم

كان المأمون لعلو همه يحب الوهوف على أحوال رعاياه نفسه ، فكان كثير
التنقل من إقليم الى آخر ، فحال في بلاد السام وهرج على آثارها ، ودخل مصر
ورأى عجائب مبانيها (وهو الذي فتح الفتحة الموحدة الآن بالهدم الأكبر)
انتقل المأمون الى بغداد فاضطعت بقدمه العين ، وفر أصحاب الفساد وشرع
المأمون في فعل ما يؤثر عه من حميل العمال والعناية بالعلوم والمعارف ومباشرة
العلماء والأدباء ، ثم أحد في عرو بلاد الروم والتغور وع. فيها وفجها . سار . ه
اتى عشرة ومائتين أسدس العرب فاصى القروان وهو من أصحاب مالان وهو
مصف (الأسدي) في مذهبه محس في الحر فاصدا حريه (صفايه) فلما
وصلوها ملكوا كثيرا من سواحلها واسولوا على مدسه (سرفوسه) وافتتحوا
عمرانا كبيرة حولها ، وفي هذه الحادثة طهرت تسده المسلمين وفوتهم . ف .
في أثناء ذلك وصل أسطول من القسطنطينيه فيه جمع كبير وقد حل بالمسلمين
وباء شديد ومات أميرهم هروا أن يسيروا عمرا كههم ، فوقف لهم الروم على
باب المرسى ، فلما تضايقوا جمعوا أمرهم وأحرقوا المراكب وعادوا للبلاد

فحاصروها واستلوا حصنها وحصناً آخر اسمه (جرجت) ومدينة (قصريانه) ثم استمرت الغزوات ووصلت مراكب كثيرة من أفريقيا فيها المدد للمسلمين وساروا الى ثغر (ياليرم) ثم ساروا الى جبل النار والحصون التي في تلك الناحية وهم في كل ذلك غامون

وحج المأمون بالباس سنين عديدة

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين فسار المأمون الى بلاد الروم من طريق انطاكية وافتح حص (قرة) عوة ومحو من ثلاثين حصناً أخرى وكان المأمون كريماً ينق اعناق من لا يخاف الفقر ، وحسبك أنه لما اتى (بوران) كانت عطياته رفاعة فيها أسماء ضياع فكل من سقطت في يده ورقة أحد الضيعة المكسوبة اسمها فيها

كان غاية في كل علم : أخرج محمد بن أبى حصص الاعماطى قال : تغديا مع المأمون مرة فوصع على المائدة أكثر من ثلثمائة لون وكلما وصع لون قال هذا باع لكدا صار لكدا من كان مسك صاحب دم فليحتب هذا ، ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا ، وهكذا حتى أتى على فواتد جميع أنواع الطعام ومصارها بالنسبة لاصحاب الامرحة على اختلاف انواعها

ومن أعرب ما يؤثره في الذكاء المرط أن امرأه شكت اليه فقالت : يا أمير المؤمنين مات أخى خلف ستمائة دينار فحكم لى القاضى بدينار واحد . فقال لها المأمون هذا نصيبك قالت : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال الرجل حلف ابنتي ووالدة وروحة واتى عشر أخا قالت نعم قال فلبنتين الثلثان أربعمائة ، وللوالدة السدس مائة ، وللروح الثمن خمسة وسبعون ، ولكل أح ديناران ، ولك دينار

كان مع حاله في معرفة الحوم ، ومع هرمر في الحساب ، ومع على ابن أبى طالب في الفقه . فكان يفصل الناس بعقله وكمالهم ويسود عليهم بأدبه وحسن معاملته . أخرج الخطيب عن يحيى بن اكرم قال : أت عد المأمون ليلة فأخذه سعال فأحد يسداه بكم قيصه حتى لا أتته . وكان فيه رفق بخدمه وخاصته .

قال عبد السلام بن صالح . بت عند المأمون ليلة فنام القيم الذي يصلح السراج فظني . فقام المأمون وأصلحه . وقال الصولي : كما في السفر مع المأمون فكان يتفقدنا في الليل ويفطينا

ومن كلامه ما أقبح اللجاجة بالسلطان ، والضجر من القضاة ، والسحافة بالفقهاء ، والحل بالأغنياء ، والمزاح بالشيوخ ، والكلل ناشاب . والجن بالمقاتل وكان يحب لعب الشطرنج ويقول انه ينسجد الدهن

وكان يقول . ما فني على في الخلافة فتق إلا وجدت سيده جور العمال (وابتد صدق المأمون فان العمال ابدي الملك وآداه الدس - هم مدار الأمور في الجهات القاصية العبيد وتسمع هم السكوى فان لم يكونوا مفعول على هو الله عاملين فأحسن السر غير عافلين عن أمر الرعية ستمتاراً - سادهم المعاملات - ونفذت عليهم الأعداء . وذهبوا وذهب الجهات العاملين عليها من فساد الحكومة وبنواي أمرها غرهم وفي السودان المصري عبرة لمعترضاً عن الخزر والامامك والواحي والبلاد التي كات للإسلام وصاعب هذا السب)

ومن حكمه قوله الناس ثلاثة عدا لادمه . ودوا . نحاح الد في حال المرص ، وداء مكروه على كل حال

وله الخطب البليغة ، والفقر العريية ومن ذلك اعلم الحيلة في الأمر اذا أقلل ان يدروا اذا أدرا ان يقل وكان يقول : معاونة بعده . وعند الملك ان مروان يحصاه . وانا نفسي وكان كما قال عنه البسد فيه حرم المنصور ، وسك المهدي ، وعمره الهادي

تم دخلت ستة ثمانية عشر ومائتين فرص فيها المأمون لئلا يهتد خلت من حمادى الآخرة بعة الحمى . فأمر ان تكسب الى البلاد بالوصية والبعة لأخيه المعتصم ، ثم أوصاه وصيه لم يفل منها ستمتاراً من وحوه الخير من بعض ما جاء فيها . (يا أبا اسحق « كية المعتصم » ادن مى واتعط بما ترى . وحدت سيرة احيك ، واعمل في الخلافة ادطوقكها الله عمل المرئد له الحائف من عقابه وعداه) ومما (حمد من افوياتهم لصعفاتهم . ولا تحمل عليهم في شيء .

وأَنصف بعضهم من بعض ، وتَأَن بهم ولا تتحل) ومها (يا ابا اسحق عهد الله وميثاقه ودمه رسوله لتقومن بحق الله في عبادته وتؤثرن طاعته على معصيته : « اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وאתم مسلمون ») وهى طويلة ، تم مات بالبدندون من ارض الروم ونقل الى طرسوس فدفن بها قال تعالى : ولا يعرف أب وابن من الخلفاء أُنعد قرأمن الرشيد والمأمون داك (بطوس) (١) وهذا (طرسوس) (٢)

راعى المأمون مصلحة السلطان مراعاة من يريد أن يستقيم له الملك مع الاسطالة ، ونظر للبصالح العامة نظر السائس الذى يريد أن يحمل كل رعيته على الاجتماع على الرضى بأحكامه من مسلم وكافر حسماً تقتضيه الشريعة الاسلامية . ويجعل المعاهد لها مقراً ومعتزلاً بأن قوانينها تحتمة من الاحكام الشرعية ، والآداب الخلقية ، والقوانين الاجتماعية الطبيعية بمراعاة ما يلزم من أصول السوكة والسلطان الملازمين لاحكام الشرع الشريف ، ففى أرقى من حكم الحكما وأدب الأدباء ووصفيات من فاقهم فأت من أصحاب القوانين والدساتير ولذلك كان من أكرهم انتقاء الرجال الدس استباهم عه فى أعماله كلها

حاشا لله أن يترك حرمة الحصلة الشريفة يمر على الاسماع من غير حكاية معيدة ، وشاردة متوتة ، تنبى عن فضيلة الوالى والمولى عليه بعد أن يسر الله لما الكتاب الذى كتبه طاهر بن الحسين لاسمه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر ، فانه كتاب جمع الوصية بجميع ما يحتاج اليه العامل فى عمله ، بل السلطان فى دولته وسلطانه من الآداب الدينية والخلقية والسياسة الشرعة والمالوكية ، وحسنه على مكارم الاخلاق ومحاسن الشيم مما لا يستعنى عه ملك ولا سوكة وهذا نص الكتاب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(أما بعد فعليك تقوى الله وحده لا شريك له وحسنه ومرأته عز وحل

ومزايلة سخطه ، واحفظ رعبتك في الليل والنهار ، والزم ما لبسك الله من العافية
بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومستول عنه ، والعمل في ذلك
كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه
فان الله سبحانه قد أحسن اليك ، وأوجب الرأفة عليك من استرعاك أمرهم
، عذابه ، والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع
عن حريمهم ومصهم والحق لدمائهم والأمن لسرهم وأحوال الراحة عليهم
ومؤاخذك بما فرص عليك وموقعك عليه وسائلك عنه ومنيك عليه بما قدمت
وأحررت ، ففرغ ادراك فهمك وعقلك وبصرك ولا يتغاك عنه ذاعل وانهرأس
أمرك وملاك شأنك

وأول ما موقعك الله عليه وليكن أول ما تلزم به نفسك ، ونسب اليه فعلك :
المواظبة على ما فرص الله عز وجل عليك من الصناعات الحسنات والجماعات عليها
بالناس قلبك ووابعها على سننها من أساغ الوصو لها واهساح ذكر الله عز وجل
فيها ، ورتل في مراتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وسهرك ، ونصرف
فيه رأيك وبتك ، واحصص عليه جماعته من معك ونحو ذلك ، وأدأب عليها
فانها كما قال الله عز وجل « سبي عن الفحشاء والمكر »

تم أتبع ذلك بالأحد تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والممارسة على
حلائقه وافتقار السلف الصالح من بعده

وأذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستحارته الله عز وجل ونقواه ، وبازوم
ما أزل الله عز وجل في كتابه من أمره وهبه وحلاله وحرامه ، وانام ما حلت
به الآتار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم هم فيه بالخلق لله عز وجل ولا
تميلن عن العدل فيما أحبب أو كرهت لقرب من الناس أو لبعده .

وآثر الفقه وأهله ، والدين وحمله ، وكاب الله عز وجل والعاملين به . وان
أفصل ما يتربى به المرء الفقه في الدين والطلب له والحث عليه والمعاهدة به
يتقرب به الى الله عز وجل ، فانه الدليل على الحر كاله والقائد اليه والآمر به
والهاهي عن المعاصي والموفات كلها ، ومع توفيق الله عز وجل يراد المرء معرفة

واجللاله ، ودركا للدرجات العلى فى الميعاد مع ما فى ظهوره للناس من التوقيـ
 لأمرك ، والهيئة لسلطانك ، والأسـة بك ، والثقة بعدلك
 وعليك بالاقصاد فى الأمور كلها ، فليس شى أين نفعا ولا أحص أما
 ولا أجمع فضلا مه ، والقصد داعية الى الرشد ، والرشد دليل على التوفيق ،
 والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية بالاقصاد ، وكذا فى
 دنياك كلها .

ولا يـصر فى طلب الآخرة والآخر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة
 ومعالم الرشد والاعانة والاستكتار من البر والسعى له اذا كان يطلب بهوجه
 الله تعالى ومرصاته ومرافقة أولياء الله فى دار كرامته . أما تعلم أن القصد فى شأن
 الدنيا يورث العز ، ويمحص من الديوب . وانك لن تحوط نفسك من قائل
 ولا تصلح أمورك بأصل مه ، فأنه واهد به تم أمورك وتريد مقدرتك
 ويصلح عامتك وحاصلك ، وأحس طيك بالله عر وحل تستقيم لك رعتك
 والتمس الوسيلة اليه فى الامور كلها تسدم به العمة عليك

ولا تهـم أحدا من الناس فيما توليه من عملك قل أن تكتشف أمره فان
 إيقاع التهم بالبرآء والطوبى السيئة هم آتم اتم فاحل من شأنك حس الطن
 بأصحابك ، واطرد عك سوء الطن هم وارصه فيهم يعينك ذلك على استطاعتهم
 ورياصتهم ، ولا تتحدن عدو الله الشيطان فى أمرك معمدا ، فانه بما يكتفى بالقليل
 من وهك ، ويدخل عليك من العم سوء الطن هم ما يقص لدادة عنك .
 واعلم أنك تتحد بحس الطن هوه وراحه وتكسى به ما أحدث كهايته من أمورك
 وتدعو به الناس إلى محتك والاسقامة فى الامور كلها ، ولا يـمعك حس الطن
 بأصحابك والرافة رعتك أن تستعمل المسئلة والحث عن أمورك والمباشرة
 لأمور الاولياء وحياطه الرعية والطر فى حوائجهم ، وحمل مؤاتهم أيسر
 عندك مما سوى ذلك ، فانه أقوم للدين وأحيا للـة

واخلص يتك فى جميع هذا وتـرد تقويم نفسك تـرد من يعلم أنه مسئول

عما صنع ، ومجزي بما أحسن ، ومؤخذ بما أساء ، فإن الله عز وجل جعل الدنيا حرزا وعزا ، ورفع من اتبعه وعززه

واسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقه الأهدى وأقم حدود الله تعالى في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فإن في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك ، واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الدع والتشبهات يسلم لك ديك وتم لك مروءتك .

وإذا عاهدت عهدا فأوف به ، وإذا وعدت الخير فأحرمه ، وأقلل الحسنة وادفع بها ، واغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والور ، وانقص أهل البيمة فإن أول فساد أمورك في عاجلها وأجلها تقريب الكدوب والحراة على الكذب ، لأن الكذب رأس المأثم والزور والبيمة خاتمها لأن البيمة لا يسلم صاحبها وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم له أمر

واحب أهل الصلاح والصدق ، وأعن الاشراف بالحق ، واعن الضعفاء وصل الرحم ، واتخ بذلك وجه الله تعالى واعرازه أمره ، والنفس فيه ثوابه والدار الآخرة

واحتب سوء الاهواء والخور واصرف عهبارأيك . وأظهر برأتك من ذلك لرعيك ، وانعم بالعدل سياسهم ، وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى

واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الحلم والوفار ، وإياك والحدة والعطيش والعروور فيما أنت بسبيله .

وإياك أن تقول أنا مسلم أفعل ما أشاء ، فإن ذلك سريع الى نقص الرأي وقلة اليقين لله عز وجل واحلص لله وحده الية فيه واليقين

واعلم ان الملك لله سبحانه وتعالى يؤتية من يشاء ويرعه من يساء . ولن تحد تعير النعمة وحلول النعمة الى أحد اسرع منه الى حيلة النعمة من أصحاب

السلطان والمسوط لهم في الدولة اذا كفروا نعم الله واحسانه واستطالوا بما اعطاهم الله عز وجل من فضله

ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذنوبك وكنوزك التي تدخر وتكنز البر والتقوى واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة للمهروم

واعلم أن الأموال اذا اكتنزت وادخرت في الخرائن لا تنمو ، واذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الاداة عنهم تمت وزكت وصلحت به العامة وترتنت به الولاية وطاب له الزمان واعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين فلك حقوقهم ، وأوف من ذلك حصصهم وتعهدهما يصلح أمورهم ومعاشهم ، فانك اذا فعلت قرت العمة لك واستوحشت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك على حاية أموال رعيتك وحراكت أهدر ، وكان الجمع لما شملهم من عدلك واحسانك أساس لطاعتك

وطب نفسا بكل ما اردت ، واحمد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب ، وليعظم حقك فيه ، وانما يبقى من المال ما ابقى في سبيل الله وفي سبيل حقه ، واعرف للشاكرين حقهم واثمهم عليه ، وإياك ان تنسك الدنيا وعروها هول الآخرة فتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التعريط والتعريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وفيه ، وارج التواب فان الله سبحانه قد أسغ عليك فضله

واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يردك الله حيرا واحسانا ، فان الله عز وجل يكتب بقدر شكر التواكبر واحسان المحسين . ولا تحقرن دينا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحن فاحرا ولا تصان كهورا ولا تدهن عدوا ولا تصدق مماما ولا تأمن ددوا ولا توالين فاسقا ولا تتعن عاويا ولا تحمدن مراثيا ولا تحقرن اسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسن باطلا ولا تلاحظ مضحكا ولا تخالفن وعدا ولا تدهن فحرا ولا تطهرن عضوا ولا تباين

رحاء ولا تمتين مرحا ولا تذكري سفيها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا ترفع
للهمام عيا ولا تغمض عن ظالم رهة منه أو محاماة ولا تطلبن ثواب الآخرة في الدنيا
واكثر متاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وحذ عن أهل التجارب
ودوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تدخل في مشورتك أهل الرفه والبخل ،
ولا تسمع لهم قولا فان صرهم أكثر من معهم

وليس شئ أسرع فسادا لما اسقبل فيه أمر رعتك من الشح . واعلم انك
اذا كنت حريصا كسب كبير الا احد قليل العطية ، واذا كنت كذلك لم يستفم
أمرك الا قليلا ، فان رعتك انما تعتقد على محك بالكف عن أموالهم وترك
الجور عليهم

ووال من صفالك من أوليائك بالانصال اليهم وحسن العطية لهم . واحبب
الشح واعلم انه أول ما عصى به الانسان ربه وان العاصي بمنزلة الحرى وهو
قول الله عز وجل « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » فسهل طريق
الحد بالحق

واحمل للسلب كلهم في بيتك خطا وبصا ، وأمن ان الحدود أفضل أعمال
العباد فأعده لنفسك حلقا وارص به عملا ومدها ، وبعد الحد في دواويهم
ومكاتبتهم وادر عليهم أرزاقهم ووسع عليهم في معاسهم يذهب الله عز وجل
بذلك فاقتمهم فيموى لك أمرهم ويريدونهم في طاعتك وأمرك خلوصا واسراحا
وحسب دى السلطان من السعادة أن يكون على حده ورعيته رحمة في عدله
وعطيته وانصافه وعيافته وسفقتة وره وتوسمه بذلك ~~مكره~~ د أحد الناس
باستشعار فضله الباب الآخر ولروم العمل به تلقى ان شاء الله تعالى به نجاحا
وصلاحا وفلاحا

واعلم ان العصاء من الله تعالى بالمكان الذى ليس له به سى من الآلهة ~~الالهة~~
ميران الله الذى يعدل عليه أحوال الناس في الارض والاطاعه ~~الاهل~~ في القضاء
والعمل تصلح أحوال الرعية وتأم السبل وينصف المظالم وتأخذ الناس

حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق من الله العافية والسلامة
ويقوم الدين ويمجرى السنن والشرائع فى عماريها

واشدت فى أمر الله عز وجل ، وتورع عن الطغى وامض لاقامة الحدود
واقبل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه
فى صحتك واسدد فى مطلقك وانصف الخصم وقب عد الشبهة واللع فى الحجة
ولا يأخذك فى أحد من رعيك محابة ولا محاملة ولا لومة لائم ، وتنت وتأن
وراقب وانظر وتفكر وتدروا عبر وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية ووسط
الحق على نفسك ، ولا تسرعن الى سبك الدماء فان الدماء من الله عز وجل بمكان
عظيم انتهاكها لها بعير حصيا

وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا
ورفعة ، ولاهله توسعة ومعة . ولعدوه كتا وغيطاً ، ولاهل الكفر من
معادهم دلا وصعارا ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم ،
ولا تدفع سيئا منه عن شريف لشرفه ، ولا عن غنى لعاه ، ولا عن كاتب لك
ولا لأحد من خاصتك ولا حاشيتك ، ولا تأخذ منه فوق الاحتمال له ولا
تكلف أمرا فيه سطر ، واحمل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك أجمع لافئهم
والرم ارضاء العامة

واعلم أنك جعلت بولايتك حاربا وحاصلا وراعيا ، وانما سمي أهل عملك رعيته
لأنك راعيتهم وبيعتهم ، فخدمهم ما أعطوك من عفوهم ونفده فى قوام أمرهم
وصلاحهم وتقويم أودهم واستعمل عليهم أولى الرأى والتدبير والتحرره والخبرة
بالعلم والعدل بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق
اللازمة لك فيما نقلت وأسد اليك ، فلا يشعلك عه شاغل ولا يصرفك عه
صارف ، فانك متى آتته وهب فيه بالواحب استدعيت به زيادة النعمة من ربك
وحسن الأحذوتة فى عملك ، واستحشرت به المحبة من رعيته وأعنت على
الصالح هدرت الخيرات بملكك وهشت العماره بناحيته وطهر الحصص فى كورك
وكبر حراحك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاه

العامة بأفاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك ، وكنت في أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فتنافس فيها ولا تقدم عليها شيئاً تحمد عاقبة أمرك إن شاء الله تعالى

واجعل في كل كورة من عملك أميناً يخبرك خبر عمالك ، ويكتب اليك بسيرهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل في عمله معائناً لأمره كلها ، وإذا أردت أن تأمرهم بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك فانذرت السلامة فيه والعافية ورحوت فيه حسن الدفاع والصنع فامضه ، والا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم به ، ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل في أمره وهدأناه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجه فان لم يطر في عواقبه أهلكه ويقص عليه أمره ، فاستعمل الحرم في كل ما أردت وناشره بعد عون الله عز وجل بالقوة ، وأكثر من استخارة ربك في جميع أمورك ، وأمرع من عمل يومك ولا تؤخره وأكثر مباشرة بنفسك ، فان لغد أموراً وحوادث تليق عن عمل يومك الذي أخرت واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب مما فيه فاذا أحرث عمله اجتمع عليك عمل يومين فيشعلك ذلك حتى ترصى مه ، وإذا أمصب لكل يوم عمله أرحت يدك ونفسك ، وتستيق أمر سلطانك ، وانظر احرار الناس وذوى الفضل منهم ، بلوت صفاء طويتهم وسهد مودتهم لك ومطاهرتهم بالنصح والحفاظه على أمرك فاستخلصهم وأحسن الهم ، وتعاهد أهل اليونان بمن قد دحلب طلبه الحاجة ، واحتمل مؤنهم وأصلح حالهم حتى لا يحدوا لطلبهم مسافراً ، وأمرد نفسك بالطرف في أمور الفقراء والمساكين ومن لا يهدر على رفع مملته اليك والمحتقر الذي لا علم له طلب حقه فصل عنه أخى مسئله وكل بأمانه أهل الصالح في رعيتك ، ومرهم رفع حوائجهم وحلالهم لسطر فيما يصلح الله به أدبه ، وتعاهد ذوى الأساء وبنامهم وأرامهم ، واحمل لهم أرواقاً من الصالح اقتداء بأمر المؤمنين أعزاه الله تعالى في الحظف عليهم والصلاه لهم لصالح الله بذلك عيشهم ويزقك به بركة وريادة ، وأحرر للامراء من يد المال وهدم حمله القرآن منهم والخاصين لا كثره في الخرائد على

دورا تأويلهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم واسعفهم بشهواتهم
مالم يؤد ذلك الى سرف في بيت المال

واعلم ان الناس اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانتهم لم تبرمهم وربما
تبرم المتصفح لأمور الناس لكثرة ما يرد عليه ويشغل ذكره وفكره منها ما ينال
به مؤونة ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل
وفضيل ثواب الآحل كالدى يستقرى ما يقره الى الله تعالى ويلتمس رحمته .
واكثر الاذن للناس عليك وأرهم وحك وسكن حراسك واخفض لهم جناحك
واظهر لهم بشرك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف عليهم بجودك وفضلك .
واذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب نفس والتباس للضيعة والآحر من غير
تكدير ولا امتنان ، فان العطية على ذلك تحارة مريحة ان شاء الله تعالى

واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مصى من قبلك من أهل السلطان والرياسة
في القرون الخالية والامم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بالله سبحانه وتعالى
والوقوف عند محبته والعمل بشريعته وسنته وبقامته ديه وكتابه ، واحتب
ما فارق ذلك وحالعه ودعا الى سخط الله عز وحل واعرف ماتجمع عمالك من
الاموال وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر محالسة
العلماء ومشاورتهم ومحالطتهم ، وليكن هواك اتباع السن واقامتها وابتار مكارم
الاحلاق ومقاتلتها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيأ
لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك فى ستر واعلامك بما فيه من القصد ، فان
أولئك أنصح أوليائك ومطاهريك لك واطر عمالك الذين يحصرتك وكتناك ،
فوفت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتا يدخل فيه مكتبه ومؤامراته وما عده من
حوائح عمالك وأمور الدولة ورعيتك ، ثم فرغ لما يورد عليك من ذلك سمعك
وبصرك وفهمك وعقلك وكرر الطر فيه والتدبير له ، فما كان موافقا للحق والخزم
فامضه واستحر الله عز وحل فيه ، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى المسئلة عنه
والنشت ، ولا تمن على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتية اليهم ولا تقل من
أحد الا الوفاء والاستقامة والعون فى أمور المسلبين ، ولا تضعن المعروف الا على

ذلك ، وتعمهم كتابي إليك ، وامن النظر فيه والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فان الله عز وجل مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سبب لك وأصل رعبتك ما كان لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولاهله عزا ونمكيننا وللملة والذمة عدلا وصلاحا . وأنا أسأل الله عز وجل أن يحبس عونك وتوفيقك ورشدك وكلاءك والسلام)

إذا افترحت بالاسماء الآباء ، واردهم الممار بالخلفاء ، فالمؤمن سيد النجاء . ورئيس الحكماء ، وزين العلم والعلماء . ولكن انشقت العائلة الحاكمة على نفسها ، وتولت هذا الشقاق يد الاعداء ، مما لثت هذه الحالة ان استعصى علاجها على الحكماء . الامراء والقادة وفتح باب للسر كان معلما ، وكل هذه الحوادث صر بها الله مثلا للعظة والاعسار ليأخذ كل قائم منها نصيب . ونصرت فيها سهم ، ويتق الله في نفسه وفي رعيته . ويجعل هذه الحوادث بمنزلة المدارس والواعظ له ليقول الانسان عنها على سبيل التعرية . (ان كانت أساءت فوما ظفد اتضع بها قوم آخرون) حال الكبر من هذه الحال قرب . والعافل من اعتبر بغيره وقاس يومه على ماضيه . ونظر الى الداء وقرأ عذاب الدهر في صفحات أيامه ، فانها الحريدة الباقية على بحر الارمان التي لا تمحو سطورها يد الحدثان ولا يملها مر الحديدان

٢٤٦٧-٢٤٦٨-٢٤٦٩

المعتصم بالله

هو أبو اسحق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمان وسبعين كان ذا سجاية وقوة وهمة ، وكان يقال له (المعتصم) لانه نام بالخلفاء من بني العباس . ولد للعباس ثمان أولاد الرشيد وملك سنة ثمان عشرة . واستمر في الحكم ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وعاش ثمانيا وأربعين سنة . وقبض عليه في سنة ثمان وثمانية ملوك وحلف ثمانية أولاد . وثمانية أبار كانت قلوب الحوود أشربت الخلاف مما شهدوه من الوقائع من الأمن

والمأمون أزمان كانوا يساقون للعصيان لقضاء وطر القوس الشريرة الخارحة على القائم بالخلافة ، فتأصلت في القوس حاحات ، وفي الطباع خصال لا ينبغي أن تلامس قلب الجنود المطلوب منهم الطاعة والانقياد لأميرهم بوبع للمعتصم فتشعب الجند عليه ، وبادوا باسم العباس بن المأمون ، وأخذوا يطرئون الباب الذي دلم عليه أمراؤهم من قل ، فأرسل المعتصم إلى العباس وأحضره فابعه . ثم خرج العباس إلى الجند وقال لهم : قد بايعت عمي فسكتوا ، واصرّف المعتصم إلى بغداد ومعه العباس بن المأمون

قال ابن المقفع : (ان الذي يصول على أعدائه بحيث لا يعلم دواحل صدورهم يكون مثله كمثل راكب الاسد : الناس تراه فوحد منه وراكب الاسد أشد وحلا) لذلك اصرط المعتصم أن يستخدم محوّا من خمسين ألفا من التركان محافة أن توقع به الحدود ، واتحد منهم لنفسه حراسا وولاهم محافظة الثغور والحدود ، فكانوا يردادون يوما عن يوم حتى كانت القوة بأيديهم في عهد الخلفاء من بعده كما ستقف عليه ان شاء الله

من أجل هذا حكم جماعة من المؤرخين بان الخلافة العباسية انتهت بالمعتصم اذا كان حكم المؤرخين على الدولة العباسية بالانتهاء كان مجرد استحداثها حدا غير العرب فبهاذا يحكم على أمة من المسلمين رصحب لغيرهم وتمثلت بهم وهم يخالفوها في كل مذهب ورادت بها السماحة حتى أصبحت تعتقد أن التشبه بهم فلاح « ان في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد »

كان المعتصم طيب الأخلاق شديد الرأي قويا ذا وحدة وهمة . يروى عنه انه بلغه أن يوفيل ملك الروم خرج وأغار على بلاد الاسلام وأن امرأة هاشمية صاحت وهي في أيدي حده . « وامعتصماه » فأحانها وهو حالس على سرير ملكه « ليك ليك » وقام من ساعته ناهضا وجمع من وقته حيثما لم يمثاله فيه أحد عددا وعددا

وأوقف ما يملكه من الضياع ثلثا لولده ، وثلثا لله تعالى ، وثلثا لمواليه وقصد مائة (عموريه) وهي أشرف لدى الروم من القسطينية ولم يتعرض لها أحد

منذ كان الاسلام فوصلها ، وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد استولى المسلمون على المدينة المذكورة ومنحهم الله النصر العظيم ، وأراد المعتصم المسير بعد هذا النصر الى القسطنطينية والزول على خليجها والحيطة في فتحها برا وبحرا ، فأثامه أزعجه وأزاله عما كان عزم عليه . وذلك أن العباس بن المأمون اجتمع عليه بعض أناس وأغروه وبأيموه وأنه كاتب طاغية الروم فأعجل المعتصم في مسيره حتى يدفع عنه هذه الفتنة الداخلية ، وهكذا أهل السوء تنتهز مثل هذه الاوقات التي يتفرع فيها القائم لعمل عظيم وتقف أمامه بالفتن والمفاسد وتسد طريق سعادتها الدنيوية والاحرورية فتتحالف في موضع الاتفاق وتتقاتل في ساعة التناصر وتتناهب في أوقات المناصعة وتدعوها لحلال السوء لان تسعد للوثة عند عدم الحاجة اليها وهذه الطائفة حائل مانع دون كل الفوائد والرغبات تحي على نفسها وديها وملتها خاية لا يغفرها لها رب الدين وخالق العالمين استكثر من الجند حتى ضاقت بهم بغداد فجند بناء مدينة (سرّ من رأى) وتحول اليها وحررت في زمنه جماعة من الوار وأصحاب الأقوال والمدعيات فكسبه الله من رفاقهم ، ولم يجمع لخليفة ما اجتمع للمعتصم من الطمر والنصر أسر ملك أدريجان ، وملك طبارسان ، وملك اسديان ، وملك اتساصح وملك فرعان ، وملك تحارستان ، وملك الصفة ، وملك كابل وبلغ ما أراد وزاد عليه بحيث لو كانت هذه الهمة صادقت صفاء من الوقت وحفاظا من البطام وروحا من الطاعة وولعا وعشقا من الأمة في تأييد الخلافة ولم تكن الامور معرسة للخطر واستبطاء صروب الخروج على القائم لقضاء حاحه في النفس لكانت هذه المدة من أكبر وسائل السعادة للأمة الاسلامة

وقد أسهب جماعة المؤرخين في وصفه وسعه أخلاقه وكرمه وعسره وأثامه لم يكن أسمح منه بالنفقة في وقت الحرب وروى عنه أنه تصدق بمائة مليون درهم ومن مكارم أخلاقه ان انقطعت عنه أصحابه في يوم مطر فيمينا هو يسر إذ رأى شيخاً معه حمار عليه حمل شوك وقد زلق الحمار وسقط والشيخ قائم ينظر

من يمر به فيعينه فنزل المعتصم عن دابته وحلص الخمار عن الوحل ورفع عليه حمله
وانتظر أصحابه ووكل منهم به من يسير معه

قال اسحق بن ابراهيم : سألتني المعتصم فقال نظرت الى أحيى المأمون وفد
اصطنع أربعة فأفلقوا واصطنعت أربعة فلم يفلح أحد منهم فقلت أحب على
أمان من غضبك . قال نعم . قلت له يا أمير المؤمنين : نظر أحوك الى الأصول
فاستعملها فأنجس ، واستعمل أمير المؤمنين فروعا فلم تنجب إدلا أصول لها
فقال يا اسحق . لمقاساة ما مرني طول هذه المدة أيسر على من هذا الجواب

(ان عدم التخير في اتقاء حاشية الخلافة التي تشرف على عموم الأمة يتقلب
بها الحال في كل وقت الى أشأم ما يكون لأنهم لقرهم من الملك يحلون بجملهم
القطيعة محل التراحم والتحامم مكان التعاون والحرب موضع السلام ويصبح
الاجتماع البشري بسبهم معرضاً للهلكة لأن هذه الطائفة أقرب الناس الى الملك
وهي التي تمتل طاعه وأعراسه ولا ينبغي أن يكون في طاعهم تقصير عن الكمال
الواجب لهم)

كان المعتصم يحب العجالة ويقول ان فيها أمورا محمودة : فأولها عمران
الأرض التي يجبا بها العلم وعليها يركو الخراج وتكثر الاموال وتعيش الاعام
وترخص الاسعار ويكثر الكسب ويتسع المعاش ولذلك كان يقول لوزيره
محمد بن عبد الملك ادا وحدث موصعا متى أنهت فيه عشرة دراهم جاء بعد ستة
بأحد عشر درهما فلا تؤامرني فيه : ولذلك كثر في أيامه العمران واحتطت
الحطط واقطعت القطائع والتوارع والدروب ، وأفرد أهل كل صنعة تسوق
وبني الناس وارفع الديار وشيدت الدور والقصور وسائر ما ينتفع به الناس
تم احتاره الله سبحانه وتعالى للدار الآخرة فقصي في قصره المعروف
بالخاقاني يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة ست وعشرين ومائتين
وقال عند ما احتضر « ذهب الحيلة فليس لي حيلة »

وكان المعتصم كلمات فصيحة وشعر لا بأس به وسيرته هذه اذا لوحظ فيها
ما انظرأ على مصالح البشر من الفساد وما قدوت به الأمة الاسلامية نفسها في

مهاوى الشر من الطيش والنقص تكون خير نذير لما فيها من المنفعة وإشعار القلوب
بلزوم الارتباط والاتحاد والتعلب على الشهوات التي تذهب حرمتها وتهدم
بنائها وتعقد ما قصد بوضعها

اللهم قاشر زغات الاهواء وأرع من نفوسنا حب الغلة على ما حولها
وصرف ارادتنا فيما فيه محاح اللاد والعداء وألهنا معرفة العارفين وارادة
المختارين لتستشعر نفوسنا بالخير التي هي مسوقة اليه آمين

— — — — —

المتوكل على الله جعفر

هو المتوكل على الله جعفر ابو الفصل بن المعتصم بن الرشد بوبع له في
دى الحجة سنة اثنين وثلاثين ومائتين

كان المتوكل ذكى الفكرة زكى العطرة طهيرا للسنة يميل لعمل أهلها وصرتهم
والمداومة عنهم ، فاحد مند ملك قباد الامر في ربح المحبة التي وقعت . والمنة
التي عظمت . وهى محبة القول بحلق القرآن التي استمرت من عهد المأمون الى
عهد المتوكل . واقضت السنين الطويلة والأمة لاتعان على صرف بلدنا عنها
مع انها على غير طائل ، وقد اصاب حماعه المسلمين منها صرر وأى صرر
وامر بترك البطر والمباحة والحدال والترك لما كان عليه الناس امام المعتصم
والواقف وأمر بالتسليم والقليد

كتب المتوكل الى الآفاق سنة أربع وثلاثين بترك هذه البدعة . واستقدم
المحدثين الى سامرا (سر من رأى) للحديث واطها السه والجماعه وأحرل
عطاياهم وأكرمهم وأمرهم أن يحدوا بأحاديث الصفات والرؤية . وأجلس
أبا بكر بن شدة في جامع الرصافة فاجتمع اليه نحو من ثلاثين ألف نفس . وأجلس
أحاه عثمان في جامع المصور ، فاجتمع اليه أيضا نحو من ثلاثين ألف . من
وتهل الناس فرحا ، واطلق الالسة بالدعاء للتوكل . وبالعوا في الله عليه .
ووافق ذلك اصابة ابن دؤاد (حدث هذه البدعة وندعها) بحال صيره

حجراً ملقى ، فأزاح الله هذه البلية ورفضها عن أمة نبيه صلى الله عليه وسلم واستراح الناس

أخذت جماعة المؤمنين في الثناء على المتوكل وتعظيمه حتى قال قائلهم : الخلفاء ثلاثة : (أبو بكر) رضى الله عنه في قل أهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم ، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التحم

اللهم لاسيطرة على حلواء الاسلام ، ولكن الانسان يستحدي من نفسه اذا وحد أن عهداً طويلاً ورمياً مديداً استوعب حلالة أربعة من الخلفاء يقصى في أمر بدعة كان يسع فيها جماعة المسلمين ما وسع الى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام والابصار الى فتح الفتوح والتوجه لما فيه المنفعة استجلاباً لحسن السيرة والنظر في الضوابط السلطانية والأموال الحربية بالجمع والتفريق والتعبد والتقريب والتشيت والتأليف واستعمال المحربين الذين أمت حياتهم وتحققت أمانتهم حتى يقولوا طمع الأمة من الميل الى الاعتدال ، ويعرفوها صفات الخير والصلاح يسعى للأمة الاسلامية أن تنعطف تمثل هذه الحوادث ، فتجب كلما يؤديها للفرقة ويحررها للتباعض ويحلل سهمها بينها فان شر الافتراق قد حر عليها ما جرّه من الويل والتور ، وأصحت وقد صرب بينها سور من التحاصم والتعاص ، ولا حول ولا قوة الا بالله

وفي سنة ثمان وثلاثين حدثت حوادث حوية عظيمة : منها حروح رياح بالعراق شديدة السموم أحرقت الررع ومنعت الناس المعاش ، ورلارل في حة انطاكية حرت منها الحال وتقطعت ، ووقع من السماء ردد في حجم الحارة ، وعارت عيون الماء ممكة . فأرسل المتوكل لأهل البلاد التي دهمتها هذه الحوادث بما تعطف به من الاحسان

وبعت الى بلد الله الحرام مائة ألف دينار لآحراء الماء من عرفات اليها انتهت المتوكل من أيام الخلافة التي كانت بموّة بالمشا كل أياما اشعل فيها بالفتوحات في حلالة فتح العباس بن الفضل أمير صقلية بها الفتوحات العظيمة واسنولى على قصر يانة

ولما استول المسلمون على جزيرة صقلية وافتتح جالية الاندلس اقریطش اغتاط الروم وجبروا نحو ثلثائة مركب عليها ثلاثة أمراء فاخذت بالجولان في عرض البحر الأبيض المتوسط تنتهز الفرص للايقاع بالمسلمين من ذلك اهم انتبها الى مدينة دمياط بمائة مركب ، وخرجوا على غرة من أهلها ، وكانت فارغة من الجند فاحرقوا وسبوا وتقدموا حتى وصلوا مصر ، ثم رجعوا ويقال : انه لم يتعرض لهم أحد في طريقهم

وفي خلافته افتتح (معا) قائد جنوده مدينة (تفلنس) (١) وغزا المسلمون الروم عدة مرات هزموا وفتحوا وغزا الفضل بن خاقان بالاساطيل فافتتح حصن انطاكية ، وفي خلافته أغار (الحاة) (٢) وامنوا من أدا ، الخنس على مصر حتى ولى محمد بن عبد الله القمى اسوان وقط و الأهر و اسنا وأرمنت وأمر بحرقهم فزحف عليهم فانهزموا واستأمنوا على أداء الخراج كما كان كانت أيام المتوكل أحسن الأيام وأنضرها لحبه في استقامة الملك وشمول الناس بالأمن ورحص السعر وبث العدل وكونه وسطا في كل شيء : في حوده وإمساكه ومضاحكه وهزله ومجونه وطربه . وكان ولعا بالأدب محبا للنعر والشعراء ، وهو الذى يقول فيه بعضهم :

فامسك بدى كهيك عنى ولا ترد فقد حفت أن أطعى وأن أخعرا

وطهرت في مدته ثياب لباس الملحم وهى في نهاية الخس والصنع وجوده الصنع وعرفت بالثياب المتوكلية وحدث في أيامه ما لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالخرى والكس والاروقة نسة الى ملوك الخيرة وهو عاره عن رواق فيه صدر وميمية وميسرة وخزنة للكسوة وثاب لما يحتاج اليه من شراب وغيره

ولم يعلم بأحد مقدم في صاعته في حدأوهزل الا وقد حطى في دولته بصباب وسعد في أيامه ، فكانت أيامه مرهرة بكل جميل

(١) تفلنس قاعدة الحكومة المحلية في بلاد القوطار الساسنة لملوك الروم الان

(٢) وهم التجار الساسنة كانوا يظهرون الشرعة من البوة بين البحر الاحمر والاسود . . .

هناك وفي اسوان ولهم عمل في حواري السودان

كان ولما بحب أهل الخير والصلاح عاشقا للعلماء حتى انه لما ظهر في عهد
في مصر (ذوالنون) وتكلم في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ، وأسكر
عليه ذلك عبد الله بن عبد الحكم رئيس مصر وأجل أصحاب اس أنس رضى الله
عنه في زمانه ، وقال بأنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف ورماء بالزندقة ، وبلغ
الأمر المتوكل أمر باحضاره فاستدناه وسمع كلامه فولج به وأحبه وأدرك منزلته
وأكرمه وكان يقول : (اذا ذكر الصالحون فخيلاذى النون) . وكان متمذهما
بمذهب الشافعى رضى الله عنه . وهو أول حليفة اتخذ مذهبا وكان يقول
(أيها الناس ان محمد بن ادریس المطلبی قد صار الى رحمة الله وخلف فيكم عملا
حسنا فاتبعوه تهتدوا) اللهم ارحم محمد بن ادریس رحمة واسعة وسهل على حفظ
مذهبه واصغنى به

وكان لا يأنف من الموعدة : من ذلك انه جمع في داره مجلسا من العلماء وكان
فيهم أحمد بن المعدل وغيره يشرح عليهم مقام الناس غير أحمد بن المعدل فقال
المتوكل لعبد الله . « ما باله ؟ » قال . ان في نصره سوء . فسمعها أحمد بن المعدل
فقال . يا أمير المؤمنين ما في نصرى سوء ولكن برهتك من عذاب الله . قال
النبي صلى الله عليه وسلم . (من أحب أن تتم له الرجال قياما فليتبوأ مقعده
من النار) فصر به المتوكل وجلس الى حاسه . ومن كلامه مع يزيد المهلبى :
(ان الخلفاء كانت تصعب على الرعية لتطيعها وأنا ألين لهم ليحورى ويطيعونى)
كان مدركا خطارة مركز الخلافة والمسئولية التى تحيط به فكان يذوق منها
مرارة العواقب كما يسبغ حلاوة المآرب وكان فى أغلب أوقاته مطرقا مفكرا

دخل عليه مرة وريره الفتح بن خاقان وهو على هذه الحالة فقال له : ما هذا
الفكر هو الله ما على طهر الارض أطيب منك عيشا قال : يافتح أطيب منى
عيشا رحل له دار واسعة وروحة صالحة ومعيشة حاضرة لا يعرفها فؤديه ولا
يحتاج اليها مدرريه

كان المتوكل يروى الحديث عن أبيه وحده ومات فى عهد خلافته الكثير
من خيار الناس والعدد العديد من شرارهم من خيار الأمة الأعلام ذوالنون

المصري ، وأبو ثور ، والامام أحمد بن حنبل ودفن بباب حرب في الجانب الغربي بمدينة السلام ، وعند الملك بن حبيب امام المالكية ، وسحبون صاحب التأليف ، واسحق بن راهويه . ومن أصحاب الفتن اس دؤاد صاحب فتنه القول بخلاف القرآن ، وأبو بكر الهدلى العلاف شيخ الاعتزال ، وحمزة بن حرب من كبار المعتزلة ، فأزال الله موتهم عن الأمة ما كان يحيط بها من الحال وما اكتشفها من سوء الحال

وأخرج أحمد بن حنبل قال : سهرت في ليلة ثم نمت فرأيت في يومي كأن رجلا يعرج به الى السماء وقائلا يقول :

ملك نقاد الى ملك عادل مفصل بالعفو لس نحاتر
تم اصبح الصباح فحاء نبي الموكل من « سر » من رأى « الى بغداد
وكان له تعلق شديد بالصبح بن حاقان وريره . ومن أعرب ما وقع ان الموكل
قال للحترى . قل في وفي الصبح شعراً فاني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب
عيتي فقال في هذا المعنى

كف أحلف يا حيي وعدى وتنازل عن وفاء نهدي
لا أرتى الايام ههنا يا « د ح « ولا عرفتك ما عسب فعدي
أعظم الرء أرب تقدم فلي ومن الرء أن تؤخر فعدي
حدرا أن تكون إلما لعري إذ تعردت بالهوى فك وحنى

فقلا معا

وأغرب من ذلك ما حدث به الحترى قال . اجمعنا ذاب يوم في مجلس المتوكل فتداعى كراما السيوف . فقال بعض من حضر وقع لرحيل من أهل البصرة سيف من الهدى لس له بطر فأمر المتوكل بكافة كتاب الى عامل البصرة شرائه منها بلع فعذب الكتب قال الحترى ويبا نحن عند المتوكل في ليلة أخرى إذ دخل عليه عبد الله والسف معه فسر المتوكل به وادعاه واستحسنه وحمله تحت ثي فراشه فلما كان العدة طلب من الصبح من خادما علاما يتق سجدته وتضاعفته فحاه باغر التركي فدفع اليه السيف وراذله ولم يمس

الايام حتى قتل المتوكل بذلك السيف من يد باغر المذكور قياماً بعرص المنتصر
كان السبب في قتل المتوكل ذلك الخطأ الشديد وسوء التصرف في أمر ولاية
العهد ولم يعتبر بما كان من أمر الرشيد في الامين والمأمون ، فابع المتوكل ولاية
العهد لانه المنتصر ، ثم المعتز ، ثم المؤيد وولى كل واحد منهم قسماً من المملكة
ثم بداله أن يقدم المعتز لمحتة لآمه فسأل المنتصر أن يرل عن ولاية العهد
فأنى فكان يحضره مجلس العام ويخط من مرلته ويتهدده ويشتمه ويوعده ، فإ
زال المنتصر يرتب العرص حتى تحقق أن الحبش التركي الذى اتحدته المتوكل
انحرف عنه لأمور فاتفق معهم على قتل أبيه فدخلوا عليه خمسة وهو فى خوف
الليل فى مجلس أنسه وقتلوه هو ووريره الفتح بن حاقان وذلك فى خامس شوال
سنة سبع وأربعين ومائتين
وفى ذلك يقول المحترى من قصيده له :

أكان ولى العهد أصغر عدره من عجب أن ولى العهد عادره
فلا ملك الباقي ترات الذى مصى ولا حملت داك الدعاء ماره
ألا أبا المظمت للديا مغرور والساكن للدهر جاهل ، فهى دار لا يدوم
نعيمها ولا تم سرورها ولا يؤمن محدورها . قربت السراء بالصراء ، والشدة بالرخاء ،
والعجم باللوى ، وحلب حاتمة كل نعيم فيها رواله عريرها دليل ، وقويها
مهيى ، وعيها محروب ، وعظيمها مسلوب ، وليس أنقى على صحاب أيامها من
عمل مقصود نه الخير والبر والاحسان ، فهى التى تعحر عن أن تأكله نأيات
فنائها ولا يرال يدكر نه فاعله وهو على حدة لا يبل ، فانه سبحانه وتعالى يوفقنا
للعمل البافع الدائم الذى لا يلبه الا بام ولا تفنيه الا عوام آمين

نبذة تاريخية

قد أتينا فيما سبق من رسائل (حماة الاسلام) بما شأنا الله أن نكتب من تراجم حلفاء الدولة العباسية واتصل بنا الكلام لحد ترجمه (الخليفة المنوكل) فخالقنا بذلك أكثر فلاسفة المؤرخين لا اعتبارهم تلاشي واصمحال الدولة العباسية من قبل ذلك أى (محلافة المعتصم) لانه انحرف عما يوجب عليه حق الجماعة فجعل كبار قواده وعمال حبايته وحاشية خلافته وجنديته من غير اللب الخالص من صميم العصر العربى

ولكن لما كان من العدل اظهار الفضل وكان (للموكل) رحمه الله حساسات كبيرة من أحلها وهو هه امام قته القول بخلق القرآن التى هدد الخلافة العباسية وصرفتها عن كبير من وجوه الخير حتى أطلها . ثم تصديه لاحياء السن السريفة المعطلة وامانة الدع السيئة المنتشرة حتى سمي « أبابكر البانى » ختسا به تراجم تلك الخلافة ليكون حاتمة حبرها ولكى لا تعب عن الذكر أفعاله وفضائله هذه اصمحلت الخلافة العامة بالاسباب التى اصمحلت بها الخلافة الاموية من حبه الحروح عن حاده العلم والعدل ، وزادت عليها عوارض أخرى أصابتها متالية فكاب أسد بلاء من تلك الاسباب المصممة بها ككرة المدهاب واصطهاد الأئمة والعرق فى الاعتقاد وطهور أصحاب الدعوات الباطلة كالباطنية والفاطمية والنسعة والمعتزلة والروايدى وغيرهم . ومنها كثرة وجود دحلاء الاعاحم الذين فعلوا فى الدولة العباسية مالا يفعله العدو القاتل بعدوه ان المسقرىء للحوادث المتع لما حريات الاحوال بحكم بأن دخول طائفة الديلم والاعاحم فى خدمة الحلفاء مقصود منه اصمحلال هذه الخلافة بأيديهم أدخلت هذه الطائفة نفسها فى خدمة الخلافة بقصد الاسقام والأخذ بالفتوحات الاسلامية التى قامت بها العرب فى بلادها من أول فتح المسلمين الى عهد الفتوحات العباسية (والحلفاء عملت عن ذلك) وهو ما نرى فى الاعمال الوحشية التى وقعت من عامه الحدد والأقوال الصريحة التى نرى من كبار قواده

أظهر هذا وهذا أن في النفوس حزارات قديمة ، وفي الصدور صغائر
كامنة ، ان كل أعمالهم أعمال المنتقم لنفسه المضرر التثني بالعدوان اماوا المنتصر
مسموماً ، والمستعين بالله مذنباً ، والمعتز بالله معذبا عطشان ، والمقتدى بالله
مقتولا ، والمنقى بالله مسمولا (١) وهكذا لكل حليلة عديم قود ودام
هذا التحرر والعدوان متواصلا مهم على مقام الخلافة وهم يتعننون في ايصال
المكروه اليه وایقاع الاذى به كالخلع والتمثيل والتقتير والتعطش حتى نمت فيهم
القوة ، وحاقهم اللبس اتقاء شرهم ، وطهر كامن العيط من رؤسائهم (والظلم
كبن في النفس القدرة تطهره ، والصعب يحفيه) فسمع من (مرداويج) مقدم
الديلم باصفهان الذي مات في خلافة الرازي سنة عشرين ومائتين يقول : (سارد
دولة العجم وأحق دولة العرب) رواء السيوطي في تاريخه المعروف بتاريخ
الحلفاء . وقد أعينوا على ذلك بقدر من الله وقضاء سابق فجعلوها عن دنداد
وفعلوا بانارها مالا يفعله السوس بالصوف

الدخلاء في كل ملة ودولة موضع نار ع مسمر وظلم من الاخص حالكة ،
وكثيراً ما هدموا قصور السلاطين والأمراء من كل أمة وشر هذه الطقة
لا يقف عند حد . وأقرب مذكور مهم من استخدمتهم الدولة العلية « صاها
الله » في حاسة خدماتها من الارمن واللعاريين وغيرهم من أهل الوسطة
والهرسك هم ما أحاط بالامة المصرية حتى رل بها في هاوية الهلاك

كانت ولا رال يد الاعراض من كل دولة تدير حركة هؤلاء الاحانب من
وراء الحجاب فيتحركون وفق ارادتهم (كاتساح اللاعب) فينشئون سحبا من
الآوهام والاباطيل يقدفون بها في عقول الخاصة فضلا عن العامة حتى يتم لهم
من الفسه ما يريدون

وصلوا سوء أعمالهم في الدولة العباسية الى أن قتل الاح آحاه ، ووقعت
من الناس حالة من الوحشه حتى طوا بأنفسهم سوءاً وحافوا كيد بعضهم بعضاً ،

واها لموعظة تنق نقاء الدهر ترعح العافل ، وترجع بلب الداهل ، وتحمل المعتر بها من أهل السلطان على رعايتها ليستقيم اليه أمر الناس

تحللت الخلافة العباسية شئون وأمور ذاب بال بعضها بذكر للبركة ونيل الآخر باداعة الفضل وبعضها يدكر حتى يتعظ به المهندي . ولابد لنا من أن تأتي عليها قل الانتقال الى ذكر (حماة الاسلام) في الدول الاسلامية الاخرى ، لاها لهذه الخلافة تع . مهاتراحم الاربعة الائمة رصوان الله عليهم وما حصهم من الفصل وانلاهم به من المحي كأي حيفة ومالك بن أنس والتاسفي واس حصل رضى الله عنهم لموافقة أرماسهم لصدر الخلافة العباسية ولاهم رية تراحم (حماة الاسلام) ادهم مهجة معاصر الانام ، ومها ماحدث في مصر من التحالف مع سدة الخلافة العباسية في عهد المعصود وروعها للاستقلال جريا وراء أعراض (أحمد بن طولون) والنسعا. الذي نعم عه في الدولة العباسية والويل الذي حر هذا العمل على أهل مصر لاتاعهم هواه وسيرهم على وفق حطرات أفكاره بلا ترو ولا تفكر حتى انحلي الأمر بصرف وحوه المصريين عن باب الخلافة واصحوا ملعة دولة الاحسيد به وخلافة العاطميين التي سدت لهم سدا تعذب صروب المحال ومهادحول القائد حوهر بحيثس المعرلدين الله مصر . الاساب التي تقدمت هذا المسح وسهله والاحوال التي اسكتشها المعر لدين الله في الامة المصرية هل أن يدحلها قائده بحسه فاتحا بما في ذلك كله من موعظة لمنعط وعبرة لمعتر ورحر لمردحر ، تم .أخذ بعد ذلك في سرد تراجم ساداتنا حلفاء الخلافة الاموية في الاندلس التي اسداب بالخليفة عبدالرحمن حفيد هشام الاموى فجمعت أشات الفصائل ورفعت للعلوم والصون أعظم مار ، وكاب رية الاسلام وخره وعره وسرفه ، والله الموفق

ابو حنيفة النعمان

(رضي الله عنه)

هو ابو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي اختلجوا في تاريخ ميلاده اختلافاً كثيراً بين سنة احدى وستين وسنة ثمانين

هو أول من حفظ التريعة بالتلقين وكان على يده انتشار السنة وتتمام حاجة العالم الانساني بها . وهو المرفع لكل ملهوف ، والعيث لكل مهموم ، والمبار الذي به يهتدى المتحير ويسلك الناس على بوره وضح الطريق

هو أحد اركان العلماء ، وأحد الأئمة الاربعة أصحاب المذاهب المنبغة أدرك عصر الصحابة ، ورأى أنس بن مالك ، واطلق العلماء على علمه ودينه وورعه وزهده ، ووفقه الله تعالى حتى اجتمع ما يقرب من شطر الاسلام على تقريره والاحد بقوله عصمه الله عن القول بخلق القران والقول بالقدر والقول بالارحاء مع ان هذه الاقوال وغيرها كانت من مقتضى السير الطبيعي للرمس الذي كان فيه وكانت سبب المودة والقرنى للحلفاء والأمراء ، ولكن أنى الله ان تسطو على روحانيته نفس اساسة

كان حسن الوجه ربة داستهامة عظيمة من احسن الناس منطقاً واحلاهم نعمة واهمهم حالة حسن الهيئة . جميل الثياب والذرة كثير العطر يعرف بطيب الريح قل أن يقلل شديد الكرم حسن المجلس كثير المواساة لاحواه وصفه صاحبه أبو يوسف للرشيده إذ سأله عنه فقال : قال الله تعالى « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عييد » وهو عند لسان كل قائل كان والله أبو حنيفة شديد الدب عن غنارم الله محاباً أهل الدنيا في دياه طويل الصمت دائم الفكر لم يكن مهذاراً ولا ترثاراً ان سئل عن مسألة وكان عده علم فيها أحاب على ماسمع ومما ثبت عده ، ما علمت يا أمير المؤمنين رجلاً أكثر منه اشتغالا بدينه عن نفسه وعن الناس لا يدكر أحدا الا بحرف فقال هرون . (هذه أحلاق

(الصالحين) وقال الشافعي رضي الله عنه (ما قامت النساء عن رجل أعقل من أنى حنيفة) وقال جعفر بن الربيع: (أقمت عند أنى حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه إذا ترك ولا أشد سيلاناً منه إذا سئل)

كان لا يهتر لسانه في حلوته عن تلاوة القرآن وربما أتم في يياض نهاره حتمته وفي سواد ليلته أخرى، وكثيراً ما صلى المحر والعشاء بوصوه واحد ولم يسمع حالماً في عرص حديثه

يروى عنه أنه لما أراد طلب العلم جعل يتحبر ويسأل عن عواقب العلوم وتأنىها فلم يجد علماً يسأل فيه صاحبه ويقبى الناس مما يفهم به غير الفقه فلزمه وترك علم الكلام الذي كان مشتغلاً به، وأتى أبا اسمعيل حماد بن أنى سليمان وهو شيخ وقور حليم لم ير أفتقه منه في زمانه وله مناصب كثيرة فلارمه ووحد عده كلها طلب وما زال حتى كان يجلس في الحلقة بمحدثاته واستنابه وأمره أن يجلس مكانه أرمان تبعه بالنصرة ولم يعارقه حتى مات فكانت صحبتها ثمان عشرة سنة

أحد حماد بن سليمان رضي الله عنه العلم عن ابراهيم الحمصي وهو أخذه عن علقمة والأسود وهما أحدهما عن عمر بن الخطاب وعلي بن أنى طالب وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم، فلما مات ابراهيم الحمصي رضي الله عنه وكان معي الكوفة جلس أبو حنيفة رضي الله عنه للافتاء بعده بإجماع من جماعة المسلمين والتابعين واخلف اليه الناس وكان أكثرهم اختلافاً اليه صاحبه أما يوسف ولم يرل كذلك حتى استحكم أمره واحاح اليه الأمر اود كره الخلفاء جلس للافتاء ليتنفع به الناس ويسهل عليهم معرفة حدود الله سبحانه وعالي ويردهم الى أوامره ويحظر عليهم المحرمات

ودكر في مسنده ما يقرب من مائتي شيخ أحد عنهم العلم وروى عنهم الحديث .
وفهم من التابعين حتى ان بعضهم رتب أسماءهم على حروف الهجاء فلم يحل حرف واحد منها

حدث أبو الحسن بن علي الخطيب عن علي بن بدر القاضي قال حدثنا هلال

ابن بدر أبي العلاء عن أبيه ، عن أبي حبيبة قال : لقيت سعا من الصحابة وسمعت من كل واحد منهم خبرا

كان غاية في الفراسة والفطنة حتى كاد أن يدرك بها المغيب ، ونادره في ذلك كثيرة جدا

وهو أول من اخترع معرفة عد اللبن والآحر بالتقصيب . فعل ذلك في عهد آجر سور بغداد لما كلمه المصور بذلك

ومن مكارم أخلاقه انه كان له حار يعمل بهاره أجمع فإذا حزن الليل رجع الى منزله وقد حمل لحما فطبخه أو سمكه فمشواها ، ثم لا يرال يشرب ويفرد بصوته أصاعوني وأى قى أضاعوا ليوم كريمة وسداد ثعر

حتى يأخذه النوم وأبو حبيبة يسمع كل يوم جلسته . ثم فقدته ليلة وعلم أن العسس أخذه فركب واستأذن على الأمير وسأله تحليته فقال له الأمير : وكل من أخذ في تلك الليلة . فلما خرج الفتى قال له أبو حبيبة رضى الله عنه (أأصعاك ؟) وناولوه ما يسنعين به على بقصان دخله في أيام حسه فكشف الله هذا الفعل الحمة عن عقل الفتى حتى تاب واخلف الى أبى حبيبة حتى تفقه

كان مع استعالة بالعقة يبعث بالضائع الى بغداد للتجارة ويحربها محرى الفضل على أخوانه فيشتري ما يحتاجه شيوحوه من المحدثين والعقبا . ويعطيه لهم محنسا ربحه من آتمائها ويقول : هذا ررقكم أحرأه الله على يدى مثل ذلك ان فقها احتاج مرة لتوب حز فقال : مالوه ؟ قال كذا . فقال اصبر ثم استدعاه بعد أيام وقال هذه حاجتك وثمنها درهم . فقال له الفقيه تهزأنى قال لا والله اتدريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم بعث أحدهما بعشرين ديناراً وبقي هذا بدرهم وما كنت لأربح على صديق . فأخذه وشكره

لقد دهم أبو حبيبة رضى الله عنه لمقامات من الحكم تنافس عليها الناس وتتصع لها فامتنع عنها طالبا للسلامة في دينه ومسح العطايا فلم يقلها ومعه عفاف النفس وطهارة الدليل

أراد يزيد بن عمر بن هيرة العزاري أمير العراق أن يدخله في (الطراز) أى

صدقات بيت المال فأبى . وطلب منه أن يئلى قضاء الكوفة فلم يقبل
فضره بالسياط وسجنه وقبده بأثقل الحديد فلم يقبل وحاءته أمه وقالت له :
يا نعمان ان علما ما أفادك غير الصرب والحسن لحقيق بك أن تفر عنه فقال : يا أماء
لو أردت الدنيا ما ضربت ، ولكن أردت وجه الله تعالى وصيانة العلم
ولم أعرضه للهلكة

صدق القائل : (الرجال سواء حتى تقع المحر) تحتاج الوقعة التي وقفها أبو
حبشة رضى الله عنه أمام أنى حفر لعقل كبير يرشده وعزم شديد يؤيده وهداية
عظيمة تنهه حلف عليه أن يئلى القضاء فحلف أبو حبشة أن لا يفعل . فكرر الخليفة
اليمن فشاها أبو حبشة فقال له الربيع أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف . فقال
ان أمير المؤمنين أفد مئ على كفارة ايمانه . فأمر بحبسه ومارال فيه حتى مات
سة حسين ومائة وعمره سبعون سه وقيل انه توفى فى اليوم الذى ولد فيه الشافعى
رضى الله عنه . وتولى غسله الحسن بن عماره فلما غسله قال : رحمك الله نامس لم
تفطر ولم تتوسد يمينك بالليل مد ثلاثين سه ، والله لقد أتعبت من بعدك

كثرت الاقوال فى كيفية حسنه وتعدنه حتى قل انه كان يخرج فى كل يوم
ويصرب فلما تناوع عليه الصرب مرض ومات ، وفل اهم صيقوا عليه الأمر
حتى فى طعامه وشرابه ومهما يكن فى هذه الأحبار من المبالغة فان الحسن معفى
عليه لتواتر خبره ، وكفى به عذابا مثل هذا الامام العظيم
(أتند كم بلاء الانبياء تم الأولياء تم الأمل فالأمل)

هذا الشعور الذى يهئ العوس لارقاء درحاب الكمال والوصول
لاطراف المراتب والعايات فقد كثر من علماء الاسلام فأصبحوا ينسرون رضاه
الباس بعصب الله تعالى حتى أد ذلك للسكوت عن الهى وأوجب هذا حدوث
الدع والوصى الدينية وانصرف كل واحد من الباس الى هواه فامحطت رتبة العلم
ولو أن أهل العلم صابوه صاهم ولو عظموه فى العوس لعظموا

نعم لو حدثوا الباس عن حلاله ، وشرحو اللقول ما حقى من شؤونه . ونسوا
مداحل السعاده الدنوية والأخوية فيه ، وحاوا للناس معربين تما يحمله طاقة

العقول ولا يبعد عن تناول الافهام لقومت نفوس وكحت شهوات . ولكن
هذا ما أراده الله ولا حول ولا قوة الا به

هذه بعض كلمات من ترجمة هذا الامام ، وما كان لنا ولا لغيرنا أن نحصيها
وندونها في مثل هذا القليل ، ولكن هذه القطرة تدل على مكان ذلك الحر .
والغرض التشوف لمثل هذا الكمال ، وهو ض المهم لقطع سلاسل التقليد
واصلاح النفوس التي غفلت ولجت عن أصول مكارمها التي كان يسعى أن يتاخر
بها الاجمال ، وتسموها فوق كل كمال

٢٤٦٠-٢٤٦١-٢٤٦٢

القاضي أبو يوسف

(رضى الله عنه)

هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حنيفة الانصاري أحد الصحابة
رضي الله عنهم ولد في سنة ثلاث عشرة ومائة ، وكان حده من أبي السلاء
الحسن في الوقائع السوية ومشهد الحدق ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل
فما لشددا على حداثة سنه ، فمسح بيده التريفة على رأسه فقيت في الدراري ركنها
مات أبوه وهو صغير فقير لم يكن له ما يطعمه الحر ويسقيه الماء ، فأسلته
أمه إلى صغار مكان يفرمه ويمر على حلقة درس أي حيفة النعمان رضي الله
عنه ، فلما طال ذلك عليها حانت إلى الامام وقالت له . ان ولدي هذا صبي يتيم
فقير وقد أفسدته على فقال لها (دعيه فسيأكل الفالودج في طباق الفيرزوج)
وباؤها مائة درهم وقال : اذا فرغت فاعليني ، وكان يتعاهدها بعد ذلك كما
يخبر بفاد ما عدها ، ولم يزل أبو يوسف حتى صار رأس الحلقة وانتهت إليه
الرياسة الدينية والديوية والامامة في العقدة والحديث وحفظ التفسير والسير
وأيام العرب

كانت تهمز بأبي يوسف نفسه إلى رقي وكمال وسعادة حال ، وتسمونه إلى
« من رشد بلعه طريق الهدى الإلهي الداخل تحت قوله تعالى « انا هديناه السبيل »

فقدّر بهذا السلوك على تمزيق الحجب ، وأصبحت روحانيته تلتفد بالحديث ،
ونفسه الباردة تنقل في رياض المعرفة كأنما ذلك من بركة تلك المسحة

نذكره بعد أن حنيفة رضى الله عنها لاه في مقام حسن الختام لبراعة
استهلال ترجمة الامام ، اذ المذهب الحنفى أخذ عن أبي حنيفة بالتلقين وحفظ
عن أنى يوسف بالتدوين وكاملا الامام به الصدور حتى به القاضى السطور
فقله من ضيق العوس الى سعة الطروس ، فهو اكليل التاج ، ومفتاح ذلك
الرتاح الذى كمل عموسات العلم بتعبه ، وتكامل علوبائه الشامخ على يده ، فهو
أول من وضع الكتب فى أصول الفقه ، وأملى المسائل ودونها وبث علم أبى
حنيفة رضى الله عنه فى أقطار الارض ، ولم يكن فى زمه بين أصحابه ثقة أحفظ
لسة السى وأوعى لكتاب الله مه

تولى القضاء بعدد ثلاثة من الخلفاء : المهدي ، والهادي ، والرشيد على
كراهة منه لرقى مقام القضاء ، وكان يقول ليتنى لم أدخل فى القضية على أن
زين دست القضاء كان محمدا خلفاء وقه ورماته . وكان عبد الرشيد حظيا
مكيا ، وهو أول من دعى قاضى القضاة ، لان الخليفة كان يسندنه فى سائر
الاقاليم التى كان يحكم عليها . وهو أول من غير لباس العلماء بهذا الرى . وما كان
لاحد أن يطعم فى رئاسة بلدة فيها أبو يوسف

جمع شروط القضاء وآداه وأحكامه . من صدق اللبحة . وعفاف الطعنه .
وحسن الصمت ، وكثرة الوقار ، وعظم الآاة ، وعزه النفس . وكراهة الخاى
وقلة الخرج ، ولطف الطع ، ورقة الحجاب ، وسعه الصدر والصلاته فى الحق
والتواضع لله والثقة فى ذاته ، والايار فى إقامة الحدود . والمساواة بين الخصوم
والتثبت فى سماع الحجة فلم يعتمد حورا . ولم يحاب حصبا ، وكل أحكامه
كانت بما يوافق الكتاب والسنة

كان سريع الخوا (وبعم السلاح الناصر الخواص الحاصر) حج مع " الرشيد
معادلاله ، فلباد حل مكة صلى « هرون » بالناس الطهر ركعين . مما سلم فام أبو
يوسف وقال . يا أهل مكة أتموا صلاتكم فانا قوم سحر . مما حل من فقها .

مكة : نحن أفقه من أن يعلم فقال له أبو يوسف « لو كنت فقيها ما تكلمت في صلاتك » فطرب لها « هرون » والحاضرون

ومن أغرب ما سمع عن محفظة وسعة اطلاعه انه لم يجر على لسانه في حديثه مع الرشيد أثناء مصاحته في سفره هذا شيئا معادا ، فلم يكرر له حبرا ذكره ، ولم يعد له حكاية رواها ، ولا وصل الى مكان الا وأجر الرشيد باسمه ونعته له واستشهد عليه شيء ان كان تم ذلك . وناهيك امام تخرج على أبي حنيفة رضي الله عنه وسمع من أبي اسحاق الشيباني ، ويحيى بن سعيد الانصاري وتلك الطبقة . وكان أفقه أهل عصره لم يتقدمه في زمانه أحد يحفظ من المنسوخ عشرين ألفا فما ظنك بالناسخ

« كل ذي نعمة محسود » وما أدراك بعممة اشتملت على الرئاسة والجلالة والقدرة والسعة في سطوة الدين والديا والارتقاء على دست القضاء ومقام الفتوى الممل كل منهما للامانة والديانة والفضيلة ، والداعي للقرب من مقام الخلافة وهو الكلمة وشدة السطوة

أراد الأعداء الحط من هذا المقام العالي فما وجدوا اليه سبيلا ، حاثوا لبعض أبواب وصاعوا بها مسائل مجعولة في الفقه والفتوى حرجوها على غير وحها ، وتوسعوا فيها بأكثر من حدودها ، وافتروها عليه وتصنعوا في روايتها عنه كأنهم يستدلون بها على سعة علمه وسمو قوته وقدرته ، وكأنهم من أشد المطربين له المعجبين بأبه فيها - وهم في الحقيقة من ألد أعدائه الذين يسرون له العداوة والبغضاء - سروا ذلك بيد بعض المسلمين الذين تدخل عليهم الحل ، ولا تتكشف لهم اوجه المسائل ، تم عدوها عليه بعد انتشارها من أشد العيوب وهو يرى ، مما فما أحدره بقول العري (ربوه وحدوه)

كأما كان أبو يوسف (استعمر الله) آلة لوحية الايمان بعد توكيدها في كل شيء ، وكأما كانت الخلفاء في وقته على غير رأى ذكروا له أشياء كثيرة في مسائل طلاق ورواح وعق وعيره (تجسهاها) وروا عنه لطائف تحيرها بها بعض الشيء . فمن ذلك ما يحكى أن الرشيد خاصم

زبيدة في شيء فأغضبها وأغضته ، فحلف عليها بالطلاق أن لا تبيت ليلتها في ولايته ومملكته ، ثم ندم على ذلك لشدة حبه وحرط غرامه بها ، فسأل الفقهاء عن وجه الحيلة فحجزوا ، ثم استدعى القاضي أبا يوسف وسأله هل من حيلة قال نعم قال وما هي ؟ قال قل لها يا أمير المؤمنين : تبيت في المسجد لأنه لا ولاية لك عليه فان الله تعالى يقول : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » فسر الرشيد بذلك كثيرا

وما يذكر في معرض لطائفه أيضا أن الرشيد رأى في ليلة من الليالي خنفساء تدب على بساطه ، فأمر بتعذيب الخادم فقال له أبو يوسف : يا أمير المؤمنين ان الحيوان بحملته يألف الأصواء والخادم قد تعهد البساط ونجاها عنه ، ولكنها كلما نحيت تعود ، فأمر الرشيد أن تحمل وتحمل وتحمل وتحمي بعيدا ففعل ففادت ، ثم أمر أن تحمل وتبعد أكثر من الأول ففعل ففادت فعفا الرشيد عن الخادم بفصل القاضي ومن لطائفه أنه كان يحدث من يختلفون اليه في حلقة درسه ، فجلس اليه مرة رحل وأطال الصمت فقال له ألا تتكلم ؟ فقال له : متى يفطر الصائم ؟ فقال اذا غابت الشمس قال فان لم تعب الى نصف الليل ؟ فصحك أبو يوسف وقال : قد أصبت في صمك ، وأخطأنا في استدعاء بطلقك

في الصمت ستر للعي واما صحيفة لب المرء أن سكالما توفي في ستة اتيين ومائين ومائه (فعزى الاسلام بعصه بعضا متوته) ومضى الرشيد في حازبه وصلى عليه ودفنه في مقبره أهله في مقابر فريس بـ كـ ر ح عداد بقرب ريبة ومحمد الأمان

وقد أوصى قبل موته بكثر من ماله لآهل العلم بمكة ، والمدينه ، والكوفة وبعداد ، واستمرت موارد حيراته ومآثره حاربه ماساء الله أعماما وقروما وما يحس ايراده ريادة في شرف الامام أني حبيبه العمان رضي الله عنه أن الرشيد دعا أبا يوسف ليلة من الليالي لسأله في تنو على فهمه دركده واحده فيه احس حواب ، ولشدة سرور الرشيد بذلك ناوله قطعة من العالم دح كانت في صحن من الفيرورح من حاصة متاع الخلفاء فكى أبو يوسف وانحب فلما

سيدنا مالك بن أنس

(رضى الله عنه)

هو الامام مالك بن أنس رضى الله عنه امام دار الهجرة في زمانه وفيها
وأحد الائمة الاربعة الاعلام . اختلفوا في مولده بين سنين ثلاث . وأربع .
وحس وتسعين من الهجرة . وهو من الطبقة السادسة من أهل المدينة

كان أشقر شديد البياض . ربعة من الرجال كبير الرأس أصلع . وكان
لايخضب شيه لما صح عنده من أن عليا كان لا يخضب . حسن الهيئة والبزة
يكره الثياب الحلقة ويعد ذلك مثله . وكان يقش خاتمه « حسنا الله ونعم الوكيل »
فسئل في ذلك فقال : سمعت الله تعالى يقول عقيب هذه الآية « فاقبلوا بنعمة
من الله وفضل » وكان مجلسه مجلس وقار وحلم يحوط فيه المستفهم عن الشيء
هيئة شديدة

كان لا يتحدث الا وهو موصى . ولا ترك في المدينة مع ضعفه . وكره سب
احتراما للولد فيها جنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لا يقطع عن المسجد
وتشجيع الحائز وعيادة الموصى وقضاء الحقوق ، فلما كبر انقطع عن ذلك كله
واحتمل له الناس ذلك

كان كامل النفس لا يزداد مع الجلاء عن الأدب الذي يوحده غلبه الدين
قدم المهدي المدينة فعت اليه بألبي دينار فضلها ، ثم وحده الله اليه يطلب
منه ملازمته الى مدينة السلام فقال له . قل لأمر المؤمنين المال عدنى على حاله
وكان يدخل على أنى حعفر وكانت وحوه بنى هاسم يصل يده ورزقه الله العافية
من ذلك

وكان شديد الحرص أميا على العلم قال حرير : ان أنا حعفر المصور عزم
على أن يحمل الناس على « موطنه » فقال له . لا تفعل يا أمر المؤمنين فان الناس
قد سقت اليهم أقاويل ، وسمعوا أحاديث ، ورووا روايات ، وأدركوا كل قوم بما

سبق لهم وعملوا به ودانوا ، وقد أصبح ردهم عما اعتقدوه شديدا ، فدفع الناس وماهم عليه

لو أن فقيها من فقهاء هذه الأئمة أقبل عليه أحد أعوان أولى الأمر وأشار عليه بحمل الناس على ما قاله لعد ذلك نخرا وعزا وسطا على عموم الناس بهذا القول . وذلك لأنه يرى مصلحة نفسه لا مصلحة الدين ويقدم مفعته على جميع أنواع المنافع)

روى عن غير واحد من التابعين ، وأحد القراءة عرضا عن بايع وهو أثنت أصحابه . وروى عنه وحدث خلق كثير من الأئمة مهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة . وعبد الله بن المبارك . والأوراعي . واسم مهدي . واسم جرير . والليث بن سعد والشافعي . والزهري . ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم . وكان يقول . « العلم دين فاتطروا عن من تأخذون دينكم » وكان يقول لا يؤخذ العلم عن أربعة . سعيه يتجاوز الحد ، وصاحب هوى يدعو إلى بدعته ، وكذاب يهون عليه تدليل حديث الناس ، وشيخ لا يعرف ما يحمله . وكان يقول . ما أفتيت حتى تشهد لي سبعون ولو هو لي لا تهين . ومن قوله ليس العلم بكثرة الرواية ولكن نور يضعه الله تعالى في القلب

قال يحيى بن معين : كان مالك من حجج الله تعالى على خلقه اماما لا يبلغ الحديث الا صحيحا ولا يتحدث الا عن ثقافة الناس . وعن الشافعي رضى الله عنه (اذا جاءك الحديث عن مالك فتد به يديك) ولا عرامة في ذلك فقد قال عبد الله ابن وهب : (لولا أني أدركت مالكا والليث بن سعد لضللت) وهو أحد الأئمة الأربعة في الأمصار الأربعة . سفيان الثوري بالكوفة . ومالك بالحجاز . والأوراعي بالشام . وحامد بن زيد بالبصرة

ومن فضائله ما رواه الترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن جرير عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنهم . (يوشك أن تضرب الناس أكباد الابل فلا يجدون احدا أعلم من عالم المدينة)
كان شديد الكراهة للعبة . ومن قوله فيها . (كان عبدا بالمدينة قوم لا عيوب

لهم فتكلموا في عيوب الناس فصارت لهم عيوب ، وكان عندنا قوم لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس نسيت عيوبهم »

جاء مستقبل الزمان مصدقا للحبر الصحيح السوي الذي لا ينطق عن الهوى فكان سيدنا الامام مالك رضى الله عنه امام زمانه

ارتقت أمانه العلم عدده لدرحة لا تقوى عليها نفوس الكاهن فزل مرلا لم يخرج عنه حتى حرج من الدنيا جاءه رجل للسفينة في مسألة فقال له « لا أحسنها » فقال له « قد صرت اليك من كذا وكذا ألك عن هذا وتقول لي لا أحسنها . ماذا أقول لأهلي ؟ قال له قل لهم . » سألت مالكا فقال لي لا أحسنها »

امتحنه الله سبحانه وتعالى على مقدار مبلغ اسنطاعته ومكاتبه وأمانته فاستدعاه الخليفة واستفاه في أمر فأفاه بما لم يوافق هواه وغرضه ، فأمر بصره فضرب ومدت يده حتى حلق كفه

ما زال الله سبحانه وتعالى يعلى من قدر مالكا رضى الله عنه بعد ذلك الصرب حتى أصبح في رفعة لا يسمو عليها مقام ، وتجلى عليه مولاه بمظهر العزة حتى كأن تلك الشياطين حليا تحلى بها وأفضلده سما قدره بها

توفى رضى الله عنه في المدينة في شهر ربيع سنة تسع وسبعين ومائة وذهبت بالقيع وكان واليها من قبل الرئيد عد الله بن ريب

ان الباطر في أمر الدين الاسلامي بعين الحقيقة يخد أنه كلما اتسع صاحبه في وسائله ، وتفرع لحكمه وسر حقائقه اتسع في حربه الفكر وأصبح يدعى بدرع الصدق والوفاء والأمانة ، وقص على زمام المالكات العاصلة . وأصبح وليس له هم الا احترام الحقوق على احلاف أنواعها . ولا يسخطع أن يبيع منها الا ما يحل تناوله فقط ، ولو أن جميع أهل العلم حاسوا بعضهم بهذه الحظايل وبافسوا معاصريهم بهذه الكمالات ، وحدوا الناس الى مذهبهم ودينهم شرف انداحهم في هذا النوع ، وكتفوا لهم عن وحوه الحقائق . وهم باصلاح سرهم كما طالوهم برعاية أحسادهم ، وعرفوهم طاهرا . انهم كما حرصوا عليهم بظافة الظاهر لمعات كلمة الدين حبر قدام ، وأعدوا أعياد العايات

والعادات ، وخلصوا أسراء القليد ، وأصبح الناس على نور من رهم عظيم لم يحالف الامام في فتواه مقام الخلافة الا وهو متحقق ان هذا العمل في رضاء الله سبحانه وتعالى (وأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) فلو ان كل مسئول امتنع ولم يوافق السائل على هواه لرحح جميع المقترفين لهذا العمل عن عملهم هذا . ولكن عظمة السلطان وصوله أنست الاس أمر ديمهم ، فأصبحوا يحالون الترائع ليؤلموا قلوبهم ، ويدخلوا السرور عليهم بتحسين فعلهم) فحر هذا الأمر الى أمور فطیحة سيئة حتى أصبح الدين ملعبة عند بعض الملوك ، وأهانوا السرائع المرعية ، والفصائل المحمية ، وهذا أمر قد علم الكثر من المسلمين حاله ، وقدروا صرره . فكم حلت الفتاوى من اللایا والرايا سواء كان في المسائل السياسة أو المدنية بما لاحاجة لذكر تفصيله حتى ان أحد سلاطين آل عثمان أوصى ندى العاوى التى أصدرتها له علماء وقته تخلصا من عواقب ما فيها يوم القيامة ، « يوم لا تعى نفس عن نفس شيئا والأمر يومئذ لله »

٤٦٤٠-٤٦٤٠-٤٦٤٠

محمد بن ادريس السافى

[رضى الله عنه]

هو محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن هصى ولد بالثمام سنة خمس ومائة تم وصل الى مكة فسكنها وأحد يتردد بين الحجاز والعراق تم استوطن مصر واتمدها دار إقامة حتى توفي بها عبد بن الحكم روى عن الامام مالك بن أنس ومسلم بن خالد الزنجى وابن عينة وابراهيم بن سعد وهـ صل بن عياض وعن عمه محمد بن شافع وجماعة عـ رهم . وروى عنه ابن حنبل والحمدى وابو الطاهر بن الويظى والمرنى ومحمد بن عبد الحكم وجماعة غيرهم

(م - ٦ - ن)

كان حافظاً حفظ الموطأ في ليل وأخذ العربية من صميم العرب ولزم هذيلاً وبقي فيهم مدة يرحل رحلتهم وينزل نزولهم ، ثم رجع الى مكة وجعل يشد الاشعار ويذكر الآداب ويروي الاخبار وأيام العرب ، فمر به رجل من الزيديين فقال له « يا أباعد الله عزير على ان لا يكون مع هذه الفصاحة والذكاء فقه لتسود اهل زمانك به » فقال ومن نبي حتى يقصد فقال له : مالك سيد المسلمين . فوقع في قلبه ذلك وعمد الى الموطأ فحفظه ورحل الى مالك فأخذ عنه الفقه كان مالك يثنى على فهمه وحفظه ، ووصله بهدية لما رحل عنه ، وكان الشافعي يقول . مالك معلني واستاذي منه تعلمنا وما أحد أمن على من مالك وقد جعلت مالكا حجة بيني وبين الله سبحانه وتعالى »

طهر مذهبه رضى الله عنه في مصر وكثر مقلدوه فيها . ثم انتشر بالعراق وحراسان والداستان وما وراء النهر والبلاد القاصية لا يعرفون حجة بينهم وبين الله سبحانه وتعالى غير الشافعي قاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الامصار وعظم محاسن المساطرات هم ، ثم أدى ذلك لظهور كتب الخلافيات ووصل الامر الى رحال من أصحاب المظاهر في المذهبين فكان ما كان من الحرب العوان التي قامت بين أهل المذهبين ، وعلاء الامة الاسلامية تتلافى الآن أمرها ولا تعان عليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله

نزل الامام علي بن عبد الحكم بمصر فأخذ عنه جماعه من نبي عند الحكم واس القاسم وابن الموار وغيرهم ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بطور دولة الرافضة (الفاطميين) وتداول بهاقه أهل البيت وتلاشي من سواهم الى أن دعت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب فجمع اليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والسام وعاد الى أحسن ما كان وبقي سوقه ، واشتهر منهم محي الدين النووي واس الرفعة وبقي الدين بن دهمي القندوب وتقي الدين ابن السكي والسراج اللقيبي أكبر علماء عصره وعنه هم من أحلة العلماء وأكابر الفصلا.

﴿ دُرُ ثناء العلماء عليه بسبقه في العلم والفضل ﴾

قال محمد بن عبد الحكم لزمنا الشافعي فما رأيت أنصر منه بأصول العلم والفقه . كان صاحب سنة وأثر وفضل مع لسان صحيح وعقل رصين صحيح قال ابن عينة انه كان أفضل فتیان زمانه ، وكان اذا جاء ابن عينة أمر من التفسير والفتيا قال : سلوا عنه هذا أي الشافعي . وكان يقول له مسلم بن خالد الزنجي شححه وهو شاب في مقتبل عمره : قد آن لك أن تقى يا أبا عبد الله . وقال يحيى بن سعيد القطان . اني لأدعو في صلاتي للشافعي لما أظهر من القول بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أحمد بن حنبل ما أحد يحمل محبة من أصحاب الحديث الا وللشافعي عليه مة وقال ماعرف ناسخ الحديث من مسوخته حتى حالسته ، وكان أهله الناس في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان الشافعي كالشمس للديا والعافية للناس وليس منه عوص وقال ابن معين لصالح بن أحمد بن حنبل ما يستحي أنوك يمتني وقد أخذت ركب الشافعي قال صالح : فقلت ذلك لأني فقال : قل له ان أردت ان تمقه تغذ ركبانه الآخر

كان حجة في اللغة وآية في الانساب والخبار : قال ابن هشام داكرته مرة وهو بمصر في اسباب الرجال فقال له الشافعي بعد ساعة . دع هذا فانه لا يذهب حفظه عما ولا عليك ولكن حذ في اسباب النساء ، فلما أخذ في ذلك بقى ابن هشام ساكتا وكان يقول : ما ظننت ان الله عز وجل خلق خلقا مثل هذا الانسان وقال الدسائي كان معروفا في ثقته وأمانه ، وقد ألف الخطيب أبو بكر بن ثابت العدادي كتاب الحجة بالشافعي وأنته في الصحيح وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . اللهم اهد قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما اللهم كما أدقهم عذابا فأدقهم بوالا ، فكان وحوده رضى الله عنه مصداق قوله صلى الله عليه وسلم

واتصل به أيام محنته القول بحلق القرآن ومن كلامه « كلام الله ليس بمخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر »

﴿ ذكر بعض حكمه رحمه الله تعالى ﴾

من ولي القضاء ولم يفتقر فهو سارق . من حفظ القرآن بل قدره ، ومن تفقه عظم قيمته ، ومن حفظ الحديث قوي حجه ، ومن حفظ العربية والسعر رق طبعه ، ومن لم يصب نفسه لم ينفعه العلم . قيل للشافعي كيف أصبحت فقال كيف أصبح من يطله تمان : الله تعالى بالقرآن ، والبي صلى الله عليه وسلم بالسنة ، والحفظة بما يطق ، والشيطان بالمعاصي ، والدهر بصروفه ، والنفس بشهواتها والعيال بالقوت ، وملك الموت بنص روحه

توفي الشافعي في خلافة المأمون رضي الله عنهما بمصر عند عبد الله بن عبد الحكم واليه أوصى وذلك ليلة الخميس من سلح رجب سنة أربع ومائتين ودفنه بوعده الحكم في قورهم وصلى عليه السري أمير مصر

كان رحمه الله حفيف العارصين أستر اللون وقد ألف كتاب (الأم) وهو من أحل الكتب في أصول الفقه جمع بين صحة المأخذ وبين ممانه الصارة ، فهو الأم الولود حقيقه لكل حقيقه في علم الفقه ومعرفة الأحكام

قال الربيع كما حلوسا في حاتم السامعي رحمه الله به بنسب ربه فها أعراني فسلم ثم قال أين قره هذه الحلقة ونسبها ، فابا . في . قال رحمه الله وبني بكاء تنديدا ثم قال : رحمه الله وعمر له ما كان كان و . مع . في . في . الحجة . ويسد من حصمه واضح الحجة ، ويعسل من البار وحوها مسودد . و . و . مع بالرأي أبوانا مسده ثم انصرف

وهو تال الأربعة الانتمه الدس معهم حسانه المممن تدا للكتاب الكريم وبمك الاسماط وكال الفقه وحس النساء المتفردين معرفة أحكام الله سبحانه وتعالى في المكلمين بهم هدى الله من نساء الى الصراط المستقيم

الامام أحمد بن حنبل بن هزول الشيباني

(رضي الله عنه)

هو الامام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل المروزي الاصل . خرجت أمه من مرو حاملاً فولدته رحمه الله تعالى سنة أربع وستين ومائة في ربيع الأول ببغداد ، ولم يره أبوه لأنه تركه طفلاً نشأ ببغداد في طلب العلم وخدمته وسافر في طلب الحديث من شيوخه ورحل الى البلاد وروى عن كثير من كبار العلماء والمحدثين ، فدخل مكة والمدينة والشام واليمن والكوفة والبصرة والجزيرة ، وسمع من سفيان بن عيينة وإبراهيم بن سعد ويحيى القطان وغيرهم . نشأ عفا مستقيماً يخاف الله ويحشاه فلا يتعدى محارمه أبداً روى أبو عبدالله قال : كان أحمد بن حنبل معاً في الكتاب وكان الخليفة المارقة ومعه حاصته فيكتبون الكتب الى منارهم فتعت النساء الى المعلم أن اعنت لنا بن حنبل ليكتب جواب كتبهم فكان اذا دخل البيوت لا يرفع طرفه أبداً حتى كان الناس تعجب من حسن طريقته وأدبه عدد ذكره

بدأ في طلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة ورحل فكتب عن علماء كل بلد ، وأول من كتب عنه الامام أبو يوسف وكان يقول « أنا أطلب العلم الى أن أدخل القبر » واحتد كثيراً في نقل الأحاديث الصحيحة وبلغ ما نقله منها مقداراً عظيماً حداً فاق حد التصور وأعجب به معاصروه

كان منادياً غاية الأدب متواضعاً غاية التواضع يرى ذلك عليه من غير تصنع ولا عناية ، فكان من فرط احلاله للتشايخ لا يكلم في محالهم شئاً ويحجب من يسأله في ذلك بأن الانسان له لسان واحد وأذانان ليسمع أكثر مما يتكلم كان وحيداً في عصره في الاستعجال بالعلم والحفظ كان يصلي العصر ثم يستند قائماً الى أصل منارة مسجده فحطاط به الناس يسألونه الحديث وهو يحجبهم

ويحدثهم عن ظهر قلبه ، والكل قيام على أرجلهم الى أن تجب صلاة المغرب
لا يفرغ ولا يتنهون

لم يتزوج الا بعد الاربعين حتى لا يتشاغل عن العلم بكسب ولا نكاح فبلغ
من العلم ما أراد وكان يقول : كتبنا الحديث من ست وجوه وسبع وجوه ولم
نضبطه . كيف يضبطه من كتبه من وجه واحد ؟

كان علم الدنيا كان بين عينيه جمع له علم الأولين والآخرين من كل صنف
يقول ماشاء ويمسك ماشاء

ومن لطائفه انه سئل عن رجل حلف بالطلاق انه لا بد أن يعطى امرأته الليلة
فذهب اليها فوجدها حائضاً فقال تطلق امرأته ولا يطؤها لان الله قد أباح الطلاق
وحرّم وطء الحائض

وكان لا يرى وصع الكتب لمسائله وكلامه ولو رأى ذلك لكانت له
تصانيف كثيرة ولدوت في أسفار ومع ذلك فله المسند صنفه سنة ١٨٠ وهو
مائة وعشرون ألف حديث تكلم فيه على النسخ والمنسوخ والتاريخ والمقدم
والمؤخر ، وفسر جوابات القرآن والماسك الكبر والصغير حتى قل أن تقع
مسئلة الأوله فيها نص في الفروع والأصول ، وربما عدت في تلك المسئلة
نصوص الفقهاء الذين صعدوا وجمعوا

روى عنه جماعة كثيرة منهم العوى ومسلم والحارث وابن ابى الدنيا
وأحمد بن أبى الخوارى وغيرهم . وقد ذكر المؤلفون له مناقب كثيرة جدا
تدخل في باب السعى في طلب العلم والزهد في المال وذكر محبه وسمائله

كان امام المحدثين في عصره ، وكان من أصحاب الامام الشافعى . ولم يزل
مصاحبا له الى ان ارتحل الشافعى الى مصر : وقال الشافعى : حرحت من بغداد
وما حلفت بها اتقى ولا أهه من اس حل

دعى رحمه الله الى القول بحلق القرآن (تلك الفتنة التى ايقطها أحمد بن أبى
دؤاد فعمت حيرة الحلق وأصابتهم بلاياها) فلم يحب عنها سى . وصرب ضربا

مبرحاً ثم حس وعذب بأنواع العذاب وهو مصر على الامتناع ، وكان ذلك في شهر رمضان ستة عشرين ومائتين
كان حسن الوجه ربة ولم يكن في آخر عصره مثله في العلم والورع توفي ببغداد سنة احدى واربعين ومائتين ودفن في مقبرة باب حرب ، وحضر جنازته من الخلق مالا يحصى ، واليه يسبب أحد المذاهب الأربعة الإسلامية وتعرف اتباعه بالخنابلة

ومقلدوه قليل لعد مدحه عن الاجتهاد واصالته في معاضدة الرواية والاحبار بعضها لبعض واكثرهم بالشام والعراق من بغداد وبواحيها وهم أكثر الناس حفظاً للسنة ورواية الحديث الشريف
وكان كثيراً ما يمثل بقول الصديق رضى الله عنه اذا مدحه مادح : « اللهم أنت أعلم منى بنفسى وأنا أعلم بنفسى مهم اللهم اجعلنى خيراً مما يطون واغفر لى مالا يعلمون ولا تؤخذنى بما يقولون »

— ٧٩ —

نبذة تاريخية

ماذا كانت مصر في هذه الايام أرمأ انتقال الدولة من الامويين للعباسيين وارمان اصمحال الدولة العباسية ؟
كانت على غير انتظام فى حالها ولا ثبات فى أمرها ، لانها كانت تقوم وتقعّد تبعاً لآهواء الولاة والعمال لعدم وجود التربة القومية فيها وضعف الرأى العام بين بيها وكونها فى الوحود فى منزلة غريبة من السداحة التى تلقنتها عن الاسلاف .
مره تعدد منار ع الداوة بعدها عن مقاصد الديانة . هى لأمة تحمى دمارها بالسيف ، ولا حصرة تعيش تحت ظل الشريعة أو القانون واما العامل الوحيد فيها مقاصد الحكام وهى عدها أعظم من كل ارادة ، لانها كانت لا تطيق مقاومتها أبداً
كان المصطنعون يتعاونون فى تنفيذ ارادة الحكام مهما كانت حتى تدبذبت الامة واطمس مهابكان نور التفكير والتدبير وأصحت مسحرة ترضى بالخضوع

للتعليين عليها من الولاة الذين لا يزعمون فيها الا ما تنزع اليه طبائعهم . ولا يوصلون اليها من حاه الخلافة ، وعزها ، وأدبا . وارتقاؤها الا بمقدار رقة مستتصمهم . ولذلك لم يصبها من الخيرات في عهد الدولة الأموية ولا من المنافع العمومية في أزمان الدولة العباسية بمقدار ما كان ينتظر ويظن من خلافة كخلافة الوليد بن عبد الملك المرواني الذي وضع يسراه على العرب ويمناه على الشرق ، أو خلافة كخلافة أبي عبد الله المأمون العباسي الذي أحيا معالم العلوم كما ما هي في حوز آخر عاصمة للناس في العوائد والأحوال مع ما طبعت عليه من السكون والدعة قابعة بما فيها من الثمرات مؤثرة الراحة على المتاعد لا تتعدى مبلغ قوتها وعوائدها من قلبها

دخلت عليها سنة ٢٥٦ وفيها أحمد بن طولون عاملا للخلافة العباسية هوسوس له شيطانه حتى نادى بالاستقلال وسطا على الخلافة سيعها وحارب الخلافة يحوشه التي جمعها من أهالي مصر وغيرها واستبأنوا في هذه الحرب حتى عجز المعتضد عنه ووقع الصلح بينهما

وقد تسامع الناس بالذي جرى من بعض أهل مصر ومن علمها فكانت هذه الحادثة من أتمام الحوادث واقبها أورا وموقعا في أمر الدين وجماعة المسلمين . مزقت الخلافة العباسية كل بمرق ، وفجعت عليها باب الحرى والسديد . وحدا حدوده العمال فاستقلت جهات محارى وصارت تدعى (المملكة السرفية) وجهات اعماستان وهم نحو من ستة ملايين أو ثمانية من سكان الخيال والوادي حلال شداد وصارت (المملكة العرنوية) ثم صارت (الدولة السلجوقية) وتبعهم (سيف الدولة بن حمدان) بالموصل هذا في آسيا . واسعمل في أفريقيا سوا الاعلى وهم الذين كان ملكهم من حدود مصر الى حدود العرب الرافضى . واتعوا مسلك ابن طولون حدودك القدة بالقدة (١) فأصبح الخلافة العباسية مشددة الاطراف مقطوعة الأوصال مفتوح عليها باب لاسد ، وكان هذا من أهم انحطاطها وأكبر الدواعي التي أطمعت احصاؤها فيها

تدرج في بعض الاحايين هوس بعض الولاة أو العمال السرفية . لمحل همد

العمل (الاستقلال) دون أن تكون الامة والبلاد مستعدة لما عساه أن يطرقها من الشدائد من بعده . ولا قائمة بما ينبغي لها أن تقوم به من العوائد التي تحفظ كيانها بعد هذا التمرد

الاستقلال هو عبارة عن قيام دولة فان وقع على غير طيبة الملك تهدم وهلك صاحبه ، لان المستقل يلزمه أن يكون طاهرا حتى على ذات التسوكة التي يريد أن يفصم عنها وينادى باستقلاله دوما ، لذلك تحاماه الكثير من أرباب الأمر وأصحاب الملك والسلطان محافة أن ينقلب الأمر فتقع البلاد والعباد في شر غير متتظر . يذكر مهم الامير عبدالرحمن الداخل ، والسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، دخل الاول بلاد الاندلس وتناول الملك بقوة تسكينة ومضاء عزم وبعد أن افتاد له الامر سمي نفسه بالامير ولم يدع (بأمر المؤمنين) لاهو ولا أحد من بني له الد الثامن تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام وممتدى العرب وملك الثاني مصر فاتحاً وخلع العاصد آخر الخلفاء العاطميين ثم حدد الدعوة والخطب للعاسيين مع انقطاعها من مصر قروا وأعواما

كان ذلك الاستقلال للحكومة مصر على غير طيبة الملك فلم يكسها الرقي والعلاح والنجاح الذي أصاب غيرها منه كأى الامة لم تستعده بعد ولم تحترم فيها مادة المعاونة مع صاحب الملك بالرأى والمعاوضة فيه ومعرفة مهمات القطر العامة والخاصة ، فتركت البلاد لمباشرة السلطان بغير مشاركة له فى أى صف من أحوال ملكه ، شأن الكثير من الممالك الاسلامية ، فلما انصرفت ولايه أحمد بن طولون عنهم تكتفت بهوسهم غير متبهة لعمل فاستسلموا لمن بعد ، وهكذا كان أمرهم مع كل طارق ، ورضحوا لكل حاكم ولو لم يكن منه وبين الحكومة معنى مطلقا كالدولة الاحتشيدية وكدولة الممالك وأشاه ذلك ، ثم صاروا ملعة فى يد العاطميين الذين سواهم سنا تعدت ضروب المحال كما هو معلوم

(يضحك الرجل المحرب اذا كان بعد هذا يرى فى بعض الاندية أهواها تلبط ، وأوفا تنتمح بما يقرب من هذا المثال يعثرون بالمرأى والظواهر التي

بهرجت بها الأعداء ليقطعوا الوصلة بالأعيب السياسية وأساليب المكر والدهاء . « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » . على أن في التاريخ شواهد محفوظة وأمثال مضروبة تكفي الناظر لو نظر وعلم ماهو فيه من نعمة الارتباط لو قام بتسميته وسعادة الوحدة والاتلاف لو انه يراها وانها لو تمت لكانت من أجل النعم وأسفها)

سرى سوء الرأي في تلك الأيام في الأمة المصرية حتى عجزت في ذلك الوقت عن إقامة نظامها في خاصة نفسها ونظام عائلاتها في ضرورة معاشها ومهنها فبالظن بها في سياسة النوع الانساني ، وأنى لها بامضاء الأحكام واصلاح السائلة وحمل الناس على مصالحهم وما تعمهم به المائدة في المعاش والمعاملات نزلت مصر في الأخلاق منزلة يظن الساحت فيها أنها محجوبة عن الحق ، لأنها وهت وسهل ابتلاعها لضعفها عن النظر والتحلق بأدب الدين ، وأصبحت مركزا للقلقل وتعكبر العسكر ، وتمكنت اغلال الاستعباد في أعناق أهلها حتى قبلوا المذاهب العديدة التي قامت بها أصحابها فيما بينهم وكانت من أكبر أسباب التفريق

أنظر لما حكم به عليها ذلك العاطمي « المعز لدين الله » على الغيب وهو في أقصى المغرب من الصعف سبب العجور الذي كانت فيه باستطلاع لطيف ، وهو مفارقة أدب الدين الذي تتفجر منه يابيع النحوة ، ونبشأ عنه القوة العاملة قال المقرئزي رحمه الله في حططه عند ذكر الخلفاء العاطميين : ان أم الأمراء والمراد بها أم الخلفاء العاطميين يعنى والده المعز وجهت من المغرب صند اباع بمصر مع وكيلها وكان ذلك كان على سبيل التحمس لمعه وأحلاف البلاد والعباد فرصها بألف دينار فحشرت اليه في بعض الأيام شاة على حمار وساوته الصية لستائه دينار (فاداهى اسة الاحشيد سلطان مصر) بلعها جبر هذه الصية . فلما رأتها شعفتها حباً فاشترتها لتستمع بها فعاد الوكيل الى المعز وأخبره بما وقع فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم جبر انه الاحتيد مع الصه الى آخره فقال المعز : امهوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شيء . فان القوم

قد بلغ بهم الترف إلى أن صارت امرأة من بنات الملوك تخرج نفسها وتشتري جارية تتمتع بها ، وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فقالوا : السمع والطاعة ، ونهضوا وكان الفتح . ثم توالى عليها الخلفاء العاطميون حتى كانت مدة الحاكم فوقه مالم يكن لاحد في حساب

أنظر لهذه الحادثة ، وسلط عليها قوة الفكر ، وتناولها سطوة العقل ، واستعمل فيها حذق أصحاب الاستبطان والاختيار تعلم وتحقق انه لا سبب لهذا الاحتلال الذي نفت علينا سموم الدسائس ، وأثار فيها الفتى والوهس ، ومكن الاراحيف من العقول ، وفتح محال الشر ، وأقام معترك المطامع ، وجعل البلاد مهبط البلاء إلا مفارقة أدب الدين والذهاب في أثر التمدن الوضعي المبني على القواعد الجديدة التي لاراطة لها ولا وصلة بينها وبين عفة الاديان . وفي هذا ذهاب الغيرة وضعف الهضة الشريفة الانسانية فاذا قيس حاضر على ماض فليعلم ان تمكن الاعداء من البلاد وضعف النفوس عن مقاومتهم لم يكن له سبب الا هذا ، لان الانسان لا يدود غيره عن حوصه سلاحه الا وهو عالم بشرف ما في ذلك الحوض من مال ونفس وعرض والخالي من الفضيلة والفضل معذور بالهجوم على ما لا يعلم والفرار من قرار الكمال حتى يحتج عن الحق لانه لا يدري كيف يكون في رقي وصلاح حال ولا الى أى طريق يذهب فاللهم اهدها سواء السبيل

ألعبنا في السدة السياسة التي مصت الى ما كان من حال مصر ، وما حرى من دخول جوهر القائد بعسكر المعردين الله فيها نسب الاحتلال والعصور الذي ألم بأهلها ، وما كان من تأسيس الخلافة العاطمية في هذا القطر ومهما يكن أمر هذه الخلافة في نظر كثير من المؤرخين وما تكلموا به من اثبات نسبهم أو نفي عن أهل البيت كما سيأتى ، فقد كان لحلفائها من الدولة والسلطان ما قاسموا به بنى العباس في عمالك الاسلام ، بل كادوا يلحون عليهم مواطنهم ويزايلون من أمرهم ، واستمرت دولتهم نحواً من مائتين وسبعين سنة وحوا فيها البلاد واستخدموا العباد واختطوا مثل مدينة القاهرة المدينة العظيمة

التي هي من وضع أول حلقاتهم الحليقة (المعزدين الله) ولذلك فنحن ذاكره من بين حلقات هذه الخلافة العاطمية لهذه العلقه ولما اتصف به أيضا من الخلال والحاصل العريية والحرم والعزم

المعز لمين الله

هو المعز لدين الله أبو تميم معدي بن المنصور بالله اسماعيل بن القائم بأمر الله
أبي القاسم محمد بن المهدي أبي محمد عيد الله العلوي الحسيني ولد بالمهديّة من
أفريقيّا حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة

تولى المعز لدين الله الخلافة بالمغرب وكان من يهتف باسم مصر والاستيلاء عليها ، وله رسل تستطلع له خبرها كما قلنا ، وقد وافق ذلك موت كافور الاحشيدي (صاحب مصر) فاحتلت فيها القلوب ووقع الغلاء وتتابعت الشدائد وحصل الأضرار وعجز رجال الدولة عن إدارة الأمور واختل حال الأقاليم المصرية وبلغ له تفصيل هذه الأحوال السيئة وهو بأفريقيا من تلك العيون التي كان أركانها في طلب حصاتها ، فسير المعز القائد « حوهر » علام وألده المصور في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة في جيش كبير للاستيلاء عليها فلما بلغ من فيها من عسكر الاحشيدي أمره واتصل خبر مسيره بهم هربوا عنها جميعهم قتل وصوله فدخلها واستوطن رحابها أما مطمئناً واحتط القاهرة بقصرها واستفد العزب بالله من العرب فقدمها في شعبان وأقيمت له الدعوة في الجامع العتيق في جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وأذن فيه (بحي على خبر العمل) (١) وخبر في «فصله

« بسم الله الرحمن الرحيم » (١) هو أول ما أذن كذلك بمصر

ابتدأت هذه الدولة (العلوية) بأفريقيا بدعوة أنى محمد عبيد الله أولهم ولى
مهم بحوا من سنة سبع وتسعين ومائتين ودخلت حيوشها (مصر) سنة ثمان
وحسين وتلتها و انقرضت فيها سنة سبع وستين وخمسمائة على يد (صلاح
الدين يوسف بن أيوب) مدة ملكهم مصر مائتا سنة وتسعين سنة . وهذا است

(١) هما من رسوم التبعة وشعائر مذهبهم

أكناف مملكة هذه الخلافة وأقيمت الدعوة لصاحبها بالمغرب ، ومصر والشام ، وبعض أعمال العراق وطالت وتناولت حتى اتصلت بالمواطن المطهرة فلكوا مقام إبراهيم عليه السلام ومصلاه وموطن الرسول صلى الله عليه وسلم ومدفنه وموقف الحجيج ومهبط الملائكة

كان المعز عالما فاضلا حوادا حس السيرة مصصا للرعية مصصا لطلقاتها ، فلما قدم مصر ساس الأمور ودر الأحوال ، ولم يأل جهدا في الإصلاح فصلح حال مصر عما كانت عليه ورهت بالقاهرة وأربف بقصره فيها ، وتحملت بما ترتب فيها من الدواوين والمصالح ومواضع السكى اللاتفة بالخلافة وعظمتها اتسع نطاق العمارة في أيامه بالقاهرة مقره رحاله وعسكره وعليها سياح من جلال . والفسطاط بعظمتها محل تصدير وشحن الأوراق والضائع الصادرة والواردة ، وتحل سكى الأعيان وأرباب الثروة ورجال العلوم والصنائع ، وكلما يلزم ولبق بحال هذه الحصار وال عمران

دحل بلاد مصر سائح عظيم من الفرس يعرف بالناصري حسرو والى في سفره رحلة سهاها (سفر نامه) يقول فيها انه لو وصف ما في مصر من آثار السعادة والذروة لكذبته الفرس ، وكيف يصف مدينة قل أن يوجد لها في عهدها شبيه . لها خمسة أبواب كل باب آية في صحامته وحفامته وهذا ما يعجز الحاسب في تقويم نظامه وأعلب البيوت والمارل ساهقة متفة الصعة تشبه القلاع يتوهم الباطر إليها من حسن نظامها انها مدينة بأحجار تمية والمساحد والكائنات والحمامات والدكاكين عما يعد بالألوف المؤلفة اه

والذى يرى نعيمه الآثار الباقية يصدق تلك الاحمار الماضية ، والواقف على تنظيم قصر المعز وما كان فيه من الحرائن للخواهر والسلاح والكتب يعلم مقدار ترويه الدولة وفرة هذه الخلافة ونفود نصر المعز وشده ادراكه كان هذا القصر كنه فصل يحج إليها القصاد والمعز فيه يأمر ويهى بين مظاهر قوة السيف ورحاله وأمراته ومعالم الفصل نسيوحوه وعلباته

يطول با الكلام لو أردنا اسفصا. رسوم الملك وأمه الخلافة ولومار

القصر وملحقاته من الحلى والزينة والأمتعة والفرش والثياب والذخائر ، واحتياجات العسكر البرية والبحرية من سلاح وسود وخيام ، وما يتجمل به الخليفة وحواصه وسائر رجاله وأتباعه ، وما ينعم به من العناص الجلييلة والمهمات العظيمة البالغة فى العظم والكثرة حدا لا تبلغه العبارة . وحزانه الكتب التى اشتملت بحكايات كثير من المؤرخين (تحاكى قوة الاجماع) على ألف ألف وستائة ألف كتاب وفيها من غرائب الدهر وعجائب الزمان ما لا يحصى . قال المقرئى : دخل هذه المكتبة أحد السواح فرأى فيها مقطعا من الحرير الازرق عريب الصعة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومساكنها (أشبه بجغرافيا) وجميع المواطن المقدسة مية للناظر مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وحالها وبلادها وأهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير فقال : يكفى من عجائبك هذا . ومن جنس هذه الاعجوبة الخيمة التى فاقت جميع المضارب والخيام المسماة (بالمدورة) كانت تصرب فى المحافل والرسميات تقام على فرد عمود ودائرتها حماسة دراع وحرقتها وحالها وسدتها تحمل على مائة حمل وقد صور فى رءوسها صورة كل حيوان فى الارض . فالقاصد . يجرى الغائب من هذه العناص على ما عرف ويقسها على ما شهد فتعرف ما كان عليه القوم من الرفاه

كان هؤلاء الخلفاء ولعين بعمارة المساجد وحسبك الارهم الارهم . والمقام الانور ، والمصلى الاظهر الذى جعله الله محتلى العلم والعلم . وحصنه باطلعه كرمه أن يكون موضع الارشاد لسة بنيه الكريم وديه القويم هذا المسجد ابل مسجد أسس بالقاهرة (لو كان ما اشتمل عليه من المنافع والمزايا حتى حصن لنا بالسمع وهو غير واقع تحت نظر كل واحدنا بالفعل لعددياه أعجوبه الزمان) مأوى العلم والعلماء ، وموطن الفقه والعقلاء ، وكل واحد من المشعلين وهما قد ما يكفيه من الرق الباص على قدره وقدره والتعليم فيه مباح بأبوابه . الا انه تأوى اليها طلبة العلم العرباء ، فلا يلحظه الطر الا وهو معمور بالهدى والدراسة وتلقيه والاشتغال بأنواع العلوم كاللغة والحديث

ومجالس الوعظ ، فالداخل فيه يجد من الانس بالله والارتياح وترويح النفس
 ما لا يحده في غيره ، ثم لا تزال عماريته تزداد وشهرته تتعظم حتى قصدته الناس
 من الآفاق ترى فيه حلقاً من جميع بلاد الاسلام تقصده لتعلم العلوم الشرعية
 والعقلية والنقلية من دروسه الدائمة المتصدر لقراءتها جهابذة العلماء والمحدثين
 ما بين مؤلف ومدرس ، وفيه الآلوف المؤلفة من المجاورين من الطوائف المختلفة
 كاهل الحجاز واليمن والهند والسند والسودان والجاوه وبعداد والمغرب والشام
 والأتراك والاكراد وغيرهم من أهل مصر من جنوبها وشمالها فهو أشهر بقعة
 بعد المساحد الثلاثة ، وباله من مدرسة كبرى وبقعة ناهة يرول بها الجهل ويحلد
 فيها العلم وتتأدب بواسطتها النفوس وتتسع القرائح وتنبه العطل وتروق الأفكار
 وتعين الآداب وتطهر الأسرار ويكتسب الشرف ويعظم القدر ، لو كانت
 تلك الشمس والاقمار التي تشرق في أفقه غير محجوبة بسحب التقليد القديم
 خازنة عن مداراتها الاولى متأملة الى درجة أحياء المعارف والعلوم وروبقها
 في غير هذه البلاد غير ناطرة اليها نظر المستكف آخذة من هذا الحديد بما حسن
 ولطف بما لا يمس عقيدة ولا يحالف ديناً . اذاً لا صحت رحانه قلة لكل
 طالب وكمة لكل قاصد ، بل يكاد الاسان يحلف غير حات ان الارهر
 وحده كاف لحاجة البلاد بجميع أوجها فهو مرصعة العلوم وأقرب مورد يمكن
 أن يسقى بمعارفه القطر ويظهر لكل انسان براعة أهل هذه البلاد ولكن

ما يشاء ربك يفعل قادر جل عن كل مقال واعتراض
 قد تجمعنا على غير هدى وتفرقا على غير تراض
 وتعارضنا شهادات التقى ثم صرنا لزال وانقراض
 واستعارت صحة أحساننا واستعانت بمودات مراص

(عود) كان للساحد في أيامهم رسوم وأجاس ، ولها ديوان مفرد وقضاة
 وعلماء تفقد حالتها ، وهم أول من أقام الدرس معلوم . ثم في مدة العزيز عمل
 الورير ابن كلس مجلساً في داره يحصره العقهاء والمتكلمون وأهل الجدل وكان
 يرأه فقه على مذهب الفاطمية

كان لهم التفات عريب للملاحظة أمر المواسم والاعياد على طول السنة ولهم فيها من البر والخير والصدقات والاحسان في الايام التي يعينونها والليالي التي يدينونها ، تم تطرق الحلل الى سياستهم وكأما كان ذلك لعمقهم في الراضية أو لالحاد بعضهم (كالحاكم) فذفع ذلك في دعوتهم وحاء الطعن في متسهم متما لذلك ، فعبئت تلك الأحوال بالحوادث التي بوالث في أيامهم الأخيرة تارة بالصلاح وتارة بالفساد الى أن ألحقت الحوادث وتوالت المحن فعبئت تلك الوجوه الحسان وأرالت معالم الحسن والاحسان وبذلت رونقها من الحمال واعتاضت عنها بالاطلال والتلال . ومن يتأمل مده كل حليقة منهم وأعماله يرى أن همة أغلبهم كانت متجهة الى اتساع دائره العماره والفساد . وسبب ذلك يصح المؤرخ أن يعبر الفاعره في مذهبهم . ربه حذا في السجادة والصنائع والمعارف والعلوم التي لم تكن لها من قبل ولا حصلت لها من بعد . والمباني الضخمة المشاهده التي لا تقوم الا بالاموال الحمة . والقدم في صاعتي الساء والصور كما تراه فما بقي من ذلك من الأبواب كرويله ، والفتوح . والبصر ، ومن المساحد كالحاكم . والآخر بدل على علوقهم وورفعه همهم وسعتهم في دائره السجاء والكرم ، وكذلك كانوا في مراكمهم وهدوا كبهم واحتفالاتهم في موااسمهم بمالو أراد الانسان معرفه حده في هذا المباح كمال المباح تم رالب دولهم على يد آخر حاخاها العاصد الخواذب التي وعت . وأدت لقدم السلطان صلاح الدين من أبواب الى هذه البلاد لأطفا الممنون . وأطفاها . وما عاد الى البلاد السامية حتى هاجمها العساكر النصارى . ولقدومه لمحاربتها وكان ذلك . تم وحد في حال البلاد احلاما لا يمان الا اذا سهر عليه الانسان بالتدبير المقرون بالاصابه وحسن الرأي المدعوف بالاحاة . وكان البلاد سئمت ما هي فيه من المصائب المتوالية فلم تلق في راع يد العاصد من الخلافة واعادة الدعوة للعناصر أهل معارض ومعه . فعمل .

حكم البلاد نفسه

وفد انقضت تلك السون وأهلها فكأنها وصاها لحياد

تغيرت بتغير الدولة كل الأحوال حتى في المأكل والمشرب ، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

هذه الخلافة طعن فيها أغلب المؤرخين وتكلم الكثير (١) في نسب القائمين بها وابتعادهم عن آل البيت رضي الله تعالى عنهم وادعوا أنهم معروفين في اليهودية (نعوذ بالله من هذه المقالة) حتى عمل في أيام الامام القادر العباسي محضرا يتضمن القدح في هذا النسب وشهد فيه من شهد من أعيان العلويين خوفا وتقية وغيرهم محاراة وترلفاً ، وزعم الأمير عبد العزيز صاحب تاريخ أفريقيا ان أصحاب هذه الدعوى من نقايا اليهود الذين أسلموا في صدر الاسلام بفاقا وما زالوا يترصون لشر جماعة المسلمين قصاصا لما وقع لاسلامهم من تسعيره أحلامهم ، فقامت جماعة منهم في آخر خلافة الامام علي رضي الله عنه وأحدوا في وضع الاحاديث الكاذبة وتسكيك صعفة العقول في الدين وآخرون ارادوا استئصال الأمر بالقوة ومهم هؤلاء

والذي عليه اهل التحقيق ان بني نسيهم عن نسب آل البيت محمول باحاديث لفقت للمستضعفين من حلفاء بني العباس ترلها اليهم (كما هي العادة من القدح فيمن ناصهم بعدنا في التلمات بعدوهم) بواسطة علماء السوء لما توفرت شيعتهم وانتشروا في القاصية بدعوتهم وما زالوا كذلك والخلعاء قانعون بهذا السب حتى قاسموهم الملك وشاطروهم السلطان ، وهذا مرض غريب وداء عجيب يصيب الكثير من الناس ويقع في الافراد كما يقع في الدول فتراهم يقومون بتصغير عدوهم وامتهانه وهم في عماما يدره لهم من المكاييد ، ثم يدالحال ويتسع فتراهم يحسون على الشاتم ويفقدون على الطاعن ويكادون يسحلون هذا الهرج الرائف الذي تريد ارباب الاغراض وسامسة البغ والباطل برويحه لهم وكله فرية ورعم ، وتبلغ بهم السداحة الى اهم يستشعرون بهذا الباطل ويسكون عما يقع في ملكهم من النقص وفي سطوتهم من الاتزار باد الكثير من دول الاسلام وانتقصت أطراف ممالك كتيرة هذا السب

(١) مثل شع الطار أي بكر اللاملاي

وهو تصغير الأعداء في نظر أولياء الأمور والاستهانة بهم والتحويل الشديد باستعظام شوكة صاحب الدولة والتعظيم له حتى يظن بعض السذج مهم أن وجود عدوه في دار الحياة إنما هو استبقاء منه عليه وكرامة وتجن ، والاخفائه في قبضة يده ، ثم لا تمر عليهما الليالي وتداول الايام حتى يصبح والأمر دو بال وعدوه قد أفسد عليه حاله ويتحقق أنه كان غارقاً في محار الخديعة وأنه أصبح بين أمرين : إما خوض المنايا لهذا العدو العبيد ، أو التجاوز له عن الأرض التي طهر بعصيانته عليها وليته يقنع بهذا ذهب مذهب من قو حات الأمويين وأملاك العباسيين وبلاد وأراضي الدولة العلية العثمانية من الرومي والناضول وغيرهما ، وبهذا السبب أيضا ذهب السودان المصري وتحسنت في هذا القطر فتنة الاحيرة

سمعت بمن أثق به ان كل تلعراف كان يرد لأولاء الامر من حكام السودان حال الفتنة مدو في أوله بهوله (بهوس ولى النعم لا يكن هاك ما يكدر الحاطر واما . . الخ) ومارال الحال كذلك حتى جاء تلعراف حصار الخرطوم مبدوء ، هذه المقالة أيضا ، فلت اللاس يعرفون بعض الممم على أمثال هذه الغوغا ، في أوائل ظهورها ويتركون العس فتكفيهم مؤنة القتال والحدال في أخرياتهم خصوصاً في هذا الوقت الذي يسعى أن يكون للاسان فيه أربع عيوز لكثرة الدسائس وازدياد الأعداء الطاعين على ملة الاسلام الباقيين عليها وعلى القائمين بأمورها وليس بعد ذلك القدر على من يكون دابصيرة ناقة لان أحوال أولئك المنافقين تندى طاهره للعيون الصادقة .

ومهما تكن عدا منى من حليقه وان حالها تحنى على اللاس بعلم اه
(تنبيه) الى هاتنى الكلام على الخلافة في المنرق ما بين الشام
وبعداد ومصر وسبداً بالكلام على الخلافة في المغرب مبدئين بخلافة
عدالرحمن الداخل

عرف القراء مما كتناه انه لما رل بنى أمية مارل بالمسرق وعلهم الدهر
على أمرهم مثل غيرهم من ساسة الدول وسلاطين الرمان وفل آخر خلفائهم

مروان بن محمد بن الحكم طلب بنو أمية بطن الارض بعد ظهرها والدمر حسود لمن يسود ولكل هبوب ركود، وكان ممن أفلت عبدالرحمن بن معاوية حرج من الشام سنة ثنتين وثلاثين ومائة وظل سائرا في افريقيا ينتقل من مكان الى مكان حتى وصل الاندلس بعد ست سنوات ودخلها سنة تسع وثلاثين ومائة وشيد فيها دولة أموية بجده واجتهاده الملازم لها التوفيق والسعود، وأصبح رأس الدولة بعد ما كان فيه من قنوط الهارب وبأس المطلوب من عدوه القادر، وارتقى في المعرب لمقام حدد فيه ما طمسه الزمان لى مروان في المشرق من الملك العظيم والسلطان العزيز، وأحيا ما اندرس من معالم الخلافة، وجدد مانسى من اسمها

لذلك جعلنا اسمه الكريم مفتاح الخلافة الأموية بالاندلس بعد أن فرغنا من ذكر من يسر الله ذكر أسمائهم من خلفاء الدولة الإسلامية بغداد

— ٢٥٣ —

عبد الرحمن بن معاوية

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك (المعروف بالداخل) لقب بذلك لأنه أول داخل من ملوك بني مروان الى الاندلس، وهو رأس الدولة الأموية الاندلسية كان شجاعا هاما كريما حليما ذا حزم وعزم أصعب حفيف العارض بوجه حال طويل القامة نحيف الجسم كانت عزومات هذا الخليفة تجعل قومه يتحينون فيه ملكا ويرون فيه علامات آتة من آيات الله تعالى أن يقطع هذا الخليفة البر والبحر، ويقمى ملكا أدبر، وبرك من الاحطار ما يركب، ويقصد الاندلس من أنأى ديار المشرق من غير عصاة ولا انصار، يفعل أهلها على أمرهم، ويتناول الملك من أيديهم بقوة شكيمة ومصاء عزم، ويقادله الأمر ويمحى على اختياره ثم يورثه عقبه. آية من آيات الله انه مع هذا الملك الضخم الذى أتيح له، والدولة المتسعة التى كان فيها لا يسمو، نفسه بأمر المؤمنين تأدبا مع الخلافة بمقر الاسلام ومنتدى

العرب وتبقى هذه التسمية الى الخليفة الثامن من بني أمية بالأندلس ، حتى حدث من ضعف خلفاء بني العباس ما حدث ، ووفعت غلة الأعاجم . انظر لهذا الجدل والاجتهاد ، وتأمل لهذا الميل بارتباط كلمة الدين والرغبة في عدم قطع دعوة آل العباس مما أصححت فيه جماعة المسلمين من الاقطاع وتفرقوا شيخاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومير

أقلت هذا الخليفة ، وحلص الى المغرب ، واجتمع بموالي المروانيين وأشياهم ، وبثواله دعوة وشرواله دكراً ، ووافق قدومه انكشاف يوسف ابن عبد الرحمن الفهرى من عسكره (بسبب ما كارب من الاحس بين البية والمصرية) ، ولم يبق معه من الحيوش ما يلقي به الاثير عبد الرحمن ، فانهم في طاهر قرطبة تم لجأ الى غرناطة فتبعه الاثير وناجزه الحرب ورغب في الصلح فعقد له على أن يسكن قرطبة . وكان ذلك . ثم أدرك الاثير عبد الرحمن بالأندلس (عند الملك بن عمر المرواني) وكان بمصر ، فلما دخلت المسودة أرضها خرج يؤم الأندلس في عسره رجال من قومهم مشهورين بالبأس والنجدة ، فلما وصلها عقد له الاثير عبد الرحمن على أسيلبه

ثم نقص يوسف بن عبد الرحمن عهده الذي عاهدته وبكث وخرج ، فسير الاثير للقائه (عند الملك بن عمر المرواني) المذكور ، فلما تاحرا كانت الدائرة على يوسف ، تم ابعاله أحد أصحابه ، وبعدهم بعثه الى الأندلس واستقر قرطبة ، وبث قدم الاثير هذا الى حمس في الملك أسس هذا الاثير بممرده الدولة التي بعث . انه الى ما بعد المائة الزابغة

صعب المراس. فإزال به حتى أوجه الى المداراة والمودعة بالسلم ، وجعل في هذا التعر القاصي (ثمر الاندلس) من حلية الملك مأر هف به سيف عزه بسلطانه وحك أهله بالسيرة الملوكية ، وأخذهم بالاداب السلطانية ، فاكسبهم المرومة وأقامهم على الطريقة المثلى ، تمدون الدواوين وجند الأجناد وفرض الاعطية وعقد الاولوية وأقام للملك آله وللسلطان عدة اعترف بعظمتها أكابر الملوك حتى حضروا بجانبه وتحاموا حوزته ، ومازال يمارح في معاملة الملوك التي تحاوره بالعنف مرة وباللطف أخرى حتى دانت له البلاد واستقل له الأمر فيها ، وظهر له ظاهرها وخافيا ، وادركت اعداؤه ماهو عليه من عظيم القوة مآلا وحالا ، وعلبت ان لله رجالا

رفعت الأمير عبد الرحمن قوة الفضيلة ، وصدق الحس ، وبعد الغور ، وسعة الاحاطة حتى أن مآظره الامام أبا جعفر المنصور كان يسميه (صقر قریش) وقد عرف له حقه وعدله ، بل استرحه عن نفسه ، وليس لواصف أن يصفه فينصفه بعد قول هذا الامام فيه . قال جلسائه . (لاتحوا لامتداد أمرنا مع طول مراسه وقوة أسانه ، فالشأن في أمر قى قریش الاحودى القدى جميع شؤونه وعدمه لاهله ونسبه وتسليه عن جميع ذلك ببعدمرقى همته ومضاء عزيمته حتى قذف نفسه في لحج المهالك لابتداء محده ، فاقترح جزيرة شاسعة المحل نائية المطمع عصية الجند صرب بين حدها بخصوصية وقع بعضهم ببعض نقوة حليته ، واستمال قلوب رعيتها بقضية سياسته حتى اقاد له عصيهم ودل له أيهم ، فاستولى فيها على أريكته ملكا على قطيعته قاهرا لاعدائه حاميا لدماره ماسا لجورته حالطا الرعة اليه بالرهمة مه . ان ذلك هو القى كل القى لا يكذب مادحه) هذا هو السر في قوة الفصائل التي تحلى الانسان بالرحولة والصرامة والاحترام فتجعل مدوحا على كل لسان حتى على لسان اعدائه (والفضل ما شهدت به الأعداء) أصبحت الخلافة الاسلامية بسنه حلافتين : خلافة اموية فى الاندلس ، وعاسية ببعداد . وكانت سيرة حلفاء الاندلس أحسن من سيرة غيرهم فى الحملة . سار سيرة حسنة لم يلامسها روح الشقاق ، ولم ترع فيها النفوس للخروج على

السلطان . كان رحمه الله قسطاسا للعدل يقعد للعامة يسمع منهم . وينظر بنفسه فيما بينهم فيصل بالضعيف الى رفع ظلامته دون مشقة ، ويردع الظالم عن بغيه وعتوه . وكانت مدة ملكه ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر قصرت عن بلوغ أمانيه التي كان يتمناها . نعم انه غزا فيها بلاد الافرنج (والسككس) ومن ورائهم ورحب بالظفر ، ولكن أين هذا بما كان يريده من اعادة دولة مروان بالمشرق كما كانت في أبتها وسطوتها قبل الخلافة العباسية

استقر بقرطبة وهو الذي أدار عليها السور ، وأقام بها المباني الضخمة فأصحت موضع العجب بآياتها الباهرة في الصاعة والاعمال العجيبة ، فتح اليها السواح من كل جاب لا يرفعون نظره من لثى من عجائنها الا ويرد اليهم طرفهم مستسايعيهم أثرها عن حدودها لتمتال ويعجزهم عن أن يحدوه بمال ألا فلتعجب جماعة المسلمين بمثل هذا الأمير وتفتخر به صحرها بعمل من لا يساويه من أهل تلك الملل الأخرى ، فان في أفعاله جميع الضروب والأشكال التي تقصد في المافع كسعادة الأمم وترتيبها ، واقامة الدول وحفظها من الاخلال ولو أن رحلا اتصل بدار وهو من عبر أهلها ، وقدر على أن يملكها منهم وأن يستخدمهم لداته ، ثم يطر في وحوه سعادتهم فيدينهم منها ، ويسهل لهم أبواب الخير حتى يعيش معهم ويعتشون معه في أرعد عيش لعد ذلك عملا عظيما ودهاء كبيرا ، فكيف من يفعل ذلك بأقليم حشوه قوم جلاد شداد ، وقد أحاطت به دول في غاية ما يكون من القوة والقدرة ؟ اللهم ان هذا من أعجب العجب !

يدهش الانسان سمو هذه العايات الشريفة التي مهما طو بها الايام وأخذت من زيتنها لاتزال محلا للمناظرة وموصعا للمباهاة ، تدى زيتها وتناهي نفسها حتى يذع لها العدو والمعاوند والمسكر الجاحد . ثم يدهش الانسان من تلك الحوادث التي طرأت على هذه المدينة العظيمة حتى أحالتها الى همجية ، بل أبادها من يد أهلها

كل هذا انما نشأ من عدم رعاية خلفاء الاسلام لحفظ آثار بعضهم ، وانهم

لا ينظرون لها باعتبار أنها من عملهم ، بل يفرحون بزوالها وحلول الخراب فيها ، لتنفى الناس بذلك أسماء المشيدين لها دائماً أولئك كانوا من أشد أعدائهم . أما بغير هذا فمحال أن تذهب آثار الاسلام من على وجه الأرض وعلى الخصوص ما كان منها في هذه الاقطار مما اتحدت الالسة على أهته وضخامته وجلالته

الحاكم أبو الامة والكل عياله ، والعلم سلم الترقى الذى يعرف به الولد حق أبيه ، ويدفع الوالد لاداء حق ولده ، وهو طاهر اليد من نعمته التى أنعم الله بها عليه فتقوى أركان المملكة ويعظم جسمها وتنهى في العمران بعظم تروتها وتوفر أعدادها واتساع بلادها ، فتسعد بالصلاح والاصلاح ، وينمى بسر العدل والانصاف ذلك السيف الفتاح . فاللهم هيى لنا الخير ، واقفح لنا أبوابه ، وأسبل علينا من فضلك وعنايتك ما ينسر لنا صعبات أمورنا ، واهدنا وارشدنا الى حير العمل ، حتى ندرك المعنى الذى به تم الصالحات آمين

— ❦ —

الحكم بن هشام

هو الحكم بن هشام بن عبدالرحمن ثالث من ملك الاندلس من الامويين .
تولى بعد من أبيه هشام بن عبدالرحمن الداخل
كان هشام والده يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه ،
فكما أنه كان يبعث قوم من ثقافته الى الكور فيسألون عن سير عماله وأعمالهم
ويخبرونه بحقائقها فاذا انتهى اليه حيف أحدهم أوقع به وأسقطه وقاصه كان
متفقدا أيضا لحال أمائه ، ومن يطل انتهاء أمر المسلمين اليهم من بعده . وهذه
خلة من حلال عبدالرحمن الداخل ورتها ألباه وعلمهم ترشيحهم وتثقيفهم على
الامر ، وبين لهم مزية السؤال عنهم وعدم اهمال تربيتهم وتثقيفهم وتدريبهم
لذلك نشأ « الحكم » متشأ حسناً فكان في معاليه صاعدا ، وفي مراقبه
سامياً ، واستولى على شرف التأديب . فكم من مطالب لدواهب المجد والفخر
أدركها ، ومغام من عوائد الحمد والتشكر تحوّلها

تولى بعد موت أبيه هشام سنة ثمانين ومائة فاستكثر من الماليك ومن رباط الخيل ، وأعد ما استطاع من القوة ، فاستفحل ملكه وسد مكانه واجتمع من محضرته من أهل بيته وقواده ومواليه وغلماؤه وحده على مابغته ومشايخته فباشر معهم الأمور ثم حدث فتنة بينه وبين عميه اغتنمها العدو واعتداه فرصة وقصد يرسلوه فامتلكها ، وتأخرت عساكر المسلمين إلى ما دونها بسبب فتنة الاقارب (وكذلك يفعلون)

ثم بعث الجند إلى بلاد الجلالقة وأثنى فيها ، فغالفهم عدوهم إلى المضائق مرجع على التعية وظفر بهم ، وخرج إلى بلاد الاسلام طاهرا

يقال عن هذا الأمير انه كان في صدر ولايته مهمكا في لذاته ، فاجتمع أهل العلم والورع قرطبة مثل يحيى بن يحيى اللبتي صاحب مالك وأحد رواة الموطأ وطالوت الفقيه وغيرهما وأزالوا به حتى اقتتلوا معه في طاعة الله : العلماء في ناحية والأمير في ناحية . ثم انتهى الأمر بعد قتل وقتال وتغريب وتشريد

هذه الحادثة شذت عن القياس في محاربة الأمير لعين أعيان دولته ، وخيرة أنصار دعوته . ولكن اطر لحال العلماء ومعاملتهم لامرائهم ، وتغريبهم وأحوالهم بالسيوف تحذ أن تلك موعظة يجب النظر إليها بعين الاعتبار ، وأمنوله تستحق أن تحفظ اعتدل بعدها حال الأمير وازداد تحلقه بالاحلاق الحميدة واسمر على الطرائق الرشيدة وأوصح له الله السداد وأبارمهاحه وعرفه يمهور رثته

دخلت عليه سنة ثنتين وتسعين ومائة فجمع (لدريق بن فارلو) ملك الفرنجة جموعه وأغارها على بلاد المسلمين ، وسار إلى حصار طرسوبه فعب الحكم ابن عبد الرحمن بعسكره هزمه بادن الله وفتح الله على المسلمين وعاد طاهرا . ثم كثر عيث الأهرم وعنتهم في ثغور وحصون الأندلس و «الحكم» من طرف ورجاله من طرف آخر يشحون في القتل والقتال حتى عاد إلى قرطبة طاهرا . ثم في سنة ٢٠٠ بعث العساكر مع ابن معص إلى بلاد الأهرم فأحد ٤٠٠ حصون وأقل عليه (اليط) ملك الخلافة في جموع عظيمة وتنازلوا على مبر واقتتلوا أياما ونال المسلمون منهم أعظم النيل ، وقهل المسلمون ضافرين ظاهرين هو أول من جسد الاحاد واتحد العدة ، وكان حل بي أمية بالأندلس

وأشدهم إقداماً ونجدة . قال بعض المؤرخين : انه كان يشبه أما جعفر المنصور من خلفاء بني العباس في شدة الملك وتوطيده ، وبمكين الدولة وتشديداتها وقع الاعداء . وكان يحب الخير ويعين عليه ، ويراعى صنعه ، ويمى غرسه ، ويسبغ نعمته اذا أولاها ، ويتم عارفته اذا أسداها من ذلك كله في المحاجة الشديدة التي وقعت سنة سبع وتسعين ومائة التي أكثر فيها من مواساة أهل الحاجات والفقراء ، حتى سارت بخيراته الناس ودوتها الرواة

استمرت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة . قال غير واحد انه أول من جعل للملك بأرض الأندلس أبهة وتأناً وهو أول من جمع الأسلحة والعدد واستكثر من الخدم والحواشي والحشم وأعد رباط الخيل على بابه وكانت الحياض التي على شاطئ النهر قبلى قصره التي فرس وكانت له عيون يطالعونه بأحوال الناس وكان يباشر الأمور بنفسه ويقرب العقباء والعلماء والصالحين وهو الذى وطأ الملك لعقه بالأندلس

ومن أعجب ما يروى عنه ان العباس الشاعر توجه الى الأندلس ، فلما رل وادى الحجارة سمع امرأة تقول : (واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمما وأيمما) فسألها عن شأنها فقالت : (كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرت عليا خيل عدو فقتلت وأسرت) فصع في قصيدته التي أراد أن يلقاه بها أبياتاً منها

تململت في وادى الحجارة مستداً أراعى مجوماً ما يرون تعيرا
إليك أما العاصي نصيت مطيتي أسير اليكم ساريا ومهرا
تدارك ساء العالمين بصرة فانك أخرى أن تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه أشده القصيدة ووصف له خوف الشعر واستصراخ المرأة باسمه ، فأبى ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد ، فخرج بعد ثلاثة الى وادى الحجارة . معه الشاعر ، وسأل عن الخيل التي أعارت من أى أرض للعدو كانت ؟ فأعلم بذلك ، فعزا تلك اللاحية وفتح حصونها وحررها وأحضر المرأة وجميع من أسر له أحد في تلك البلاد وقال للعباس سلها هل أعانها (الحكم) ؟ فقالت :

والله وشقي الصدور ، وأنكى العدو ؛ وأغاث الملهوف فأغاثه الله وأعز نفره .
فارتاح لقولها هذا

مثل هذه الحدة الآن تعجز أوروبا بأجمعها عنها ولقد أعجزتها فعلا في مسئلة
البوير فلم تندس بذت شعه ، وأبح صوت الشيخ الرئيس كروجر فرط النداء
والاستصرach « وما أنت مسمع من في القبور » قبور الشهوات والملاذ التي
أنست الناس الفضيلة ومكارم الأخلاق وصبحتهم لا يعرفون شيئا غير صيانة
هياكلهم في حصون الجبن حتى أصبح الصدق قريبا والنصح والاخلاص
تضييعا ، وكأنك لو نظرت لتاريخ أوروبا والمشرق لا تجد غير ذلك : اندفاع
الى المسعة والمقام غير نظر الى شرف أو فضيلة

انا لو شئتنا سرد الشواهد على أن مدينة أوروبا (بالقول لا بالفعل) لاحتجنا
الى تأليف جديد ، ولكن الطن بالقراء انهم يكتفون ببعض هذه الشواهد
الظاهرة والاعراض السياسية الكادة مما لا يوجد في بلاد المسلمين أبدا ، لأنهم
يجهلون التلميق والتنبؤ في الحقائق واراها في أتواب الزور المدججة بألوان
التمدن العصري

—

عبد الرحمن بن الحكم

هو عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن
هشام الاموي هو أبو المطرف عبد الرحمن الثاني ملك الاندلس يقال له عبد
الرحمن الاوسط لتوسطه بين عبد الرحمن الاول والثالث

ولد بطليطلة سنة ١٧٦ وتولى الخلافة سنة (٢٠٩) على أثر وفاة والده وعمره
ثلاث وثلاثون سنة وولى الحكم ثلاثين سنة وتوفى سنة تسع وثلاثين ومائتين
كان عبد الرحمن أسمر طويلا ، أقى الألف عظيم اللحية ، جازما قويا شجاعا ،
جمع الله فيه ما بين لطف الأدباء والشعراء وفضل العلماء ، وتبحر القواد ومهابة
الحكام ، فكان مادرة زمانه

هذه أبوه الحكم وعوده على الجلوس على مراتب الملك والسلطان ، لانه استعان به في مهمات أموره من الوظائف السلطانية التي تدرج تحت الخلافة ، ويشتمل عليه منصبها من أحوال الدنيا والدين ، فانفذه في عظام المهام ، وولاه قيادة الجند في محاربة الافرنج وتذليل البلاد النائرة ، فأصبح له من النظر بأمور الجند والسلاح والحروب والصر بسائر أمور الحماية والمطالبة بالحقوق ما يكفي لمثل هذا المقام . وحسبك أنه هو الذي أحمّد فتنة طليطلة باليوم المعروف يوم الحفرة المنسوط خيره في مواضعه من كتب التاريخ

تولى الملك بعزيمة الصلاح ، ومساعى الحاج ، وأولاه الله العز والصر ، وخص أعداءه بالذل والقهر . فقد خرج عليه عم أبيه (عبد الله البلنسى) ينارعه الملك فلم يلبث أن مات وخلصت الحكومة له صروف همه لاختداد الفتن داخل بلاده ورد غزوات الافرنج عنها ، ورفع معالم العلم فيها ، وكان له الفوز في أكثر حروبه ، واستولى على برشلونه وغيرها من البلدان ، وطردهم الفرساويين من قضاوينا

وقف حائلا بين الوبائ وبين مملكته ، دافعا عنها أحداث الزمان ، آسيا لحكموها ، حاربا لتلومها . في عام توليته أحمّد فتنة البيرة وأوقع بأهلها الوقعة المعروفة بوقعة بالس وفي السنة التالية سير جيشا الى بلاد (الة) مع عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث ، فحاصرها وأحرق عدة حصون بها ، وغنم الغنائم وعاد بعد ان صالح أهلها على مال كثير

وقعت هيئته في قلوب ملوك الافرنج ، فهاز هوزا عطيا وغزا بلاده مرات . ووفق لاحقاد الفسة البيماية والمصرية بلاد مرسية ودانت له ، وافتتح برشلونه مرة ثانية بعد ما انتقضت عليه وهدم سورها ، ثم فتح مدينة ناحة واستولى على مدينة طليطلة ، ثم كانت له وقائع كثيرة مع الاسان في أطراف بلاده والفرسويين ، وكان الفوز له في معظمها مع الغنائم الكثيرة

كانت في أيامه غزوات النور متديين (١) المعروفة في تواريخ العرب

(١) أهالي مورنديا في حوب فراسا وأصلهم من سويد

(بعزوات المجوس أو ظهور المجوس) واختلف القوم في تواريخ حدودها وفي تعداد غزواتها ومنهم من جعلها غروتين والأظهر أنها غزوات متتابعة لم تكن ذات شأن في أول الامر. تم أقبل النور منديون في أوائل عام ٨٤٥ مسيحية بجيش جرار في سفهم وعاشوا في سواحل الاندلس ونهبوا (قادس) وطفروا بالمسلمين. ثم ساروا الى اشبيلية في السنة التالية فخرج اليهم أهلها وقتلواهم فقتل الكثير من المسلمين وانهزموا واكثر النور منديون من النهب والسلب وعاتوا في السلاط وعادوا الى مراكنهم ثم خرجوا منها، وحشد عبد الرحمن حيوشة من كل البلاد، وكانت بين العريقين حرب شديدة فاضطر النور منديون الى الرحيل عن اشبيلية، ولكنهم طلوا ينقلون في السواحل ويعيثون سلباً ونهباً الى أن تمكن عبد الرحمن بعد الجهد الحيدو العناية الشديد من طردهم عن بلاده وصلت حيوشة الى مدينة ليون ورموها بالمجانيق فهرب أهلها عنها وتركوها فغنم منها المسلمون غنائم كثيرة

كانت الخلافة بالاندلس لا تتبته غيرها من خلافات المشرق، لما يلزمها من شدة الحذر وطول السهر وقلة الراحة ودوام اليقظة، لان عازره حيراتها من الامم المبابة لها لا تنقطع، ولأن المسلمين فيما بينهم (حسم غريب) وكل فرد من هذه الشعوب ليس له هوى غير الانتقام منهم والتمسك من اعادة أرصهم وملكنهم اليهم والحوطة عليهم، وشعلهم أن يعوا متكالبين على الطلب. ومتهى آمالهم ان يعيدوها كما كانت لا يعفلون عن ذلك أبداً. ولسوا بصاست فيحتجون الى من يقطعهم، ولا لاهين فيضطرون الى من ينههم. بل مع صين لذلك تعرض المستعيت بعزم الواجد لا المتكلف. ولا يزال حكماؤهم يصحون به الناس على طول الأيام والناس فاعلون

هذا حال العدو المحارب، وأشد منه حال الصديق المخدع والرصيف المناق. وهم الدين يرصدون مراصد الكيد للدولة من العمال، فهد انتقض عليه بعض عماله يدعون للحلفاء العاسيين سعداد (ولو كانوا بعدد لدعوا فيها للأمويين بالاندلس) فكان هؤلاء من طرف وحروب الاسان من جهة أخرى

حتى استقلت ولايتا (أراغوان) و(نواره) عنه . ومع هذا فقد ترك ملكا قويا خلفه عليه ابنه (محمد)

بلغ مرتبة تقطعت دونها انفاص المنافسين ، وتضرمت احشاء الحاسدين من الثأى الذى رأبه والشعث الذى لاه ، والعدو الذى أرغمه ، فعث اليه (نوفلس) ملك القسطنطينية بهدية وطلب مواصلته ورعه فى ملك سلطه بالمشرق (١) (تأمل لهذا الحدق فى بدر بنزور الشقاق وانظر سهام المكاييد النافذة) وذكر له المأمون والمعتصم فى كتابه وعبر عنهما (بأسماء امهاتهما) امتها بافلاقت هذه الحالة من الأمير عد الرحمن رجلا خيرا حكيما فدهمها بدهائه وكافأه على هديه وبعث اليه (يحيى العرالى) من كبار أهل الدولة وكان مشهورا فى الشعر والحكمة فأحكم بينهما وصلة الحب وارتفع لعبد الرحمن عنه ذكر وأى ذكر

كان واسع الرق فى كل شىء حتى فى دراريه فقدمات عن ٥٠ ولدا ذكورا . وكان أديبا شاعرا عالما بالترعية وغيرها من علوم الكلام بعيد الهمة . وهو أول من شاد القصور الجميلة والمنتزهات ومهد الطرق وأتى بالماء العذب الى قرطبة من الجبال ، وبى المدارس وأسس ديار العلم ، وشاد الجوامع الكثيرة وبيت فى أيامه الجوامع تكور الأندلس ، وراد فى جامع قرطبة ومات قل أن يتمه فأتمه ابنه (محمد)

هو رابع ملوك الأمويين بالأندلس ولكنه أول من أقام أهبة الملك وكان محبا للعلاء ، والأدباء جمع اليه روى الشهرة من شعراء العرب ودوى الفضل مهم ويعترف الأوروبيون أنه لم يكن فى زمانه دار ملك كدار ملكه أهبة ومعدا لعل عد الرحمن هذا هو الذى نقل هيئة الحكومة الى ما مرر اليه العلامة ابن خلدون فى مقدمته من غير أن ينسب لاحد قال فى كلامه على العمران الدوى (وأما دولة بنى أمية بالأندلس فالعوا اسم الورير فى مدلوله أول الدولة تم قسموا حطته أصصا وأفردوا الكل صصف وريرا فجعلوا لحسان المال وريرا . ولترسيل وزيرا . ولتنظر فى حوائج المتظلمين وريرا . ولالطر فى أحوال أهل الثعور وزيرا وجعل لهم بيت يحلون فيه على فرس مضنة لهم ويعقدون أمر السلطان كل فيما

(١) بنى الخلافة الاموية فالتام الى امتدتها مهم السابقين

جعل له الخ) وهذا شيء أشبه بنظار الحكومات الآن (ولعله مبتدعه)
دخلت في مدته صناعة الغناء من المشرق الى الاندلس بوغود زرياب المغنى
مولى المهدي من العراق اليها وهو تلميذ ابراهيم الموصلى ، فركب بعسه اليه
وتلقاه وأكرمه وأقام عنده محير حال وأورث صاعته أهل المغرب وحلف
أولاداً وخلعه في صناعته وخطوته كبيرهم عبد الرحمن ثم انقطع هذا الى
أزمان الطوائف

وغير حاف ان هذه الصناعة هي آخر ما يحصل في العمران من الصنائع
لأنها كالية في غير وظيفة من الوظائف الاوظيفة الفراغ والفرح ، وهي أيضا
أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراحعه أو تبدله (كما هو اقع بمصر
الآن) ولا مشاحة في ان هذا الص من أحل الصون ، لأنه ينفع المرضى كما ينفع
الاصحاء ، وقد كشفت العلوم الحديثة والتقدم الحديث لزومه لكيان الوجود
والحياة لروم الماء والشعب وان عليه مدار صحة الأمم ، لان الفراغ واللذ بعد
الكد والعمل لاند مهمما والافالمنت هالك لاحالة

وهو أول من أحدث النقش في الخاتم عميد عن الاسم فكان نقش حاميه
(عبد الرحمن لقضاء الله راص) وكانت أيامه أيام رعد وهاء على ما فيها من
الحروب بل العن الداخلية ، وذلك لأنه كان يتلقاها بفكر ورأى وثبات حاش
وحرم فلا تلت العتة أن تروى ، ولذلك بلغ في ملكه اتساعاً عظيماً وحى مالا
كثراً وكان طروباً فحوراً محبداً وأعماله اللاتفة من شعره في ذلك

تدارك في الله دين الهدى فأحيته وأمت الصليبا

ألاقي بوجهي سموم الهجير اذا كاد منه الحصا أن يدونا

فكم قد تحطيت من سبب ولاقيت بعد دروب دروبا

وكان مولعاً بالسماع محباً له وهو أول لداته شعله عن كثير من المنكرات
التي تعظم عليه تتبعها والحمد لله

لاشك أن القارئ يسبب كل ما لهذا الخليعة من الأعمال الخيرية لقوة الدين
وشدة العزيمة والبحث عن عواقب الأمور وحرط الروية والتصر وأساس ذلك

لثنتين له الأحوال بعد الشدة ، وتكسر من شوكها الحدة ، والحمد لله على آلائه

ومن الغريب انه كان في عهد توليته شابا وأعمامه وأعمام أبيه حاضرون فتصدى اليها واحتازها دوسهم كأى الله هياها وأعدده لما أرادته من الخير على يديه لهذه البلاد

هو أول من تلقب بألقاب الخلافة وتسمى (بأمير المؤمنين) وكانوا من قبله يخاطبون ويخطب لهم بالأمير كما تقدم الكلام ، وذلك عندما تحقق أن أمر الخلافة بالمشرق قد ضعف واستندت على الخلفاء موالبيهم والثالث أمرهم على جماعة المسلمين ، وتظاهروا بأبدي الديلم لقتل الخلفاء (كما وقع للمقتدر من خادمه مؤسس) فظهر بمظهرها في محاسن الحشد والحيلة ومواطن الانس والعظمة ، مستكملا شعارها من الاكار والاعظام والاحلال والاكرام

مدت اليه أمم النصرانية المحاورة لمملكته من وراء الدروب المنحكمة يد الطاعة والاذعان خوفا على أنفسهم وبمالكهم من مطوى أفكاره وغزو تدايره السديدة وآرائه المميدة ، فصفا لهم إدا صافوه وأمهماد سالموه تحرزوا من الوقوع في اتراكه ، وأوفدوا عليه من رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والترلف والسلم والاعتمال فيما يعين في مرصاه ، ووصل الى سدته الملوك المتاحمون للبلاد المسلمين بحمات (فستاله) و(سلون) وما نسب اليها من التغور الخوفية فكانوا يقبلون يده ، ونامسون رضاه ، ويحفظون حوائزه ، ويمتطون مراكه ، وكل وفد من الوفود يحتفل في لقاءه بالعسكر والمواد وأصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة كالموالي والخدم بما ياسب هول المقام وأهنة الخلافة ، ثم تقام لذلك الاحتمالات التناقضة . وتلى فيها الخطب الرائقة بما يدل على فخامة حاه الدولة وبيان ما يخططه الغير من مودتها ، ثم يعقد على أولئك الوفود بالعطايا فيحرقون من الحصرة ويرحلون عن البلاد ، وقد اشتد عجبهم ، وطال تحدثهم بما رأوه من قدرة السلطان وعظمة الملك بما هو مبین في مواضعه

سما الى ملك العدو قتال « سبتة » ونقل « الفرصة » من أيدي أهلها وأطاع
بو ادريس أمراء العدو وملوك زناتة والبربر وفتح طليطلة وقرمونة . واشتد عليه
وكثيرا من البلاد العاصية والنواحي المستقلة

كانت أيامه أيام جهد وعناء بمالقي من عت الحوارج وتمرد العصاة وطمع
ملوك الأطراف من المسلمين وقتال أمراء الصاري في أستوريا وتواره . وملك
لاون أوردينو الثاني ورامير الثاني . وحرارة الفاطميين في أفريقيا بعد ظفرهم
بالمملوك الادارسة وابعال جوده في السودان المصري ، ومع ذلك فقد خرج
طافرا من معظم تلك الحروب ودوح البلاد وأحمد القن وطفر بالمنقذين عليه
أنظر لماشيده من الآثار وأقامه من علائم المجد مع هذه البلايا والمصائب
الداخلية والمحس والعن الخارجية الملتمة حول كرسى خلافة لا يكاد يلتفت الى
واحدة منها إلا وتستصرخه أخرى

يده يضاء عن العلم والصناعة والتجارة ، فاردادت بذلك شهرته ومكانته ،
هو الذي أشأ المائى العطية ، وشيد المساحد والحوامع والمدارس الفخيمة ،
ومن أشهر هذه الأعمال الحظيرة (مدرسة الطب) وهي أول مدرسة نشئت
في أوربا باحماح المؤرخين (والمكتبة الشهيرة) بعرناطة وهي أحل مكتبة كانت
في عهدها على ظهر الارض أودعها ستمائة الف مجلد ، و (الاسطول) البحرى
الذى غزا به أفريقيا

شيد مدينة (الزهراء) وكانما أحاطها تشعار التعظيم والنسب رداء التكريم
ونافيك يبلدة استدعى لاقمتها وبناء قصره (دار الروضة) فيها عرفاء النائين
والمهندسين من كل حة فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية وأقيمت على
٤٣٠٠ عامود من المرمر الحالص وصرف في بنائها ٧٥٠٠٠٠٠ ديتار (١)
واستغرق العمل فيها خمس سنين

حملوا اليها الماء من مستقره في الجبال لسقاية المدينة ولوارم قصره وقصور
سلفائه ، وأضخموا له تلك المباني وأعظموها في نظر كل انسان فهانت لعلو

درجتها ما تقدمها من الآثار . جمعت عجائب البناء وغرائب الاشياء فحدائق القصور التي شيدها كلها ميدان اعتبار واختبار كانت منزها للانسان ومرتما للحيوان ومسارح للطيور ، هي للمالحة والحاجة والفطانة والنزاهة ثم أقام دار الصناعة (١) وجمع فيها من آلات السلاح للحرب مالا يوصف ، وأحيا بواسطتها ميت الاعمال الصناعية ، ثم جلب اليها ما قدر عليه من الخارج أيضا كصناعة العاج والابنوس والصخر ومواد التليس والترصيع والتطعيم بالفضة والذهب التي لا تزال آثارها باقية للآن في تعاريج أبواب القصر والمدينة مجلبة للحرصات على مواضى هذه الايام

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البينان
ان الساء اذا تعظم قدره أضحي يدل على عظيم الشان
ذكرت حماة المؤرخين سدا لطيفا لناء هذه المدينة (الزهراء) قالوا ان
الناصر ماتت له سرية وتركت مالا كثيرا فأمر أن يفك بذلك المال أسرى
المسلمين . وطلب في بلاد الافرج أسيرا فلم يجد فشكر الله على ذلك وبني هذه
المدينة (فقه من هذا الفكر السامي الذي صير ماله بين أن يحلب به على الأمة
الشرف العظيم أو يقيم لها به الأثر المحيم)

ما كان أحوج هذا الملك العظيم الى السلامة التامة من جميع وجوها
ليكون متساوي الصحارين سره وحرره وعالسه وباطله ، ولكن أين تذهب
حياة الحوة الدس ليس لهم شغل الا طمس المعالم ودروس المآثر للأغراض
الداتية ، فيبتكون ما يحق أن يصاب من حرمة الملك ويحرقون ما يجب أن يحفظ
من هبة السلطان هم الساهرون اذا رعد الناس ، المسقطون اذا ناءوا ليشنوا
أنكر العارات على الحاكم ، ويقيموا أقبح العنراب في وجه الطبيعة ليقعدوه
عما هو فيه من نصرة الدين والمسلمين

كان الخليفة عند الرحمن كثير الجهاد والعرو بنفسه فيسير الى دار
الحرب ليحس في العدو حتى يدعوه للطاعة لا شغل له الا فتح الحصون واسلاك
البلاد والواحي واقامة ميران عدله فيها

(١) حرم هذه القلعة حتى صارت (ترسحاة) وهي المرونة

كبر على الخوة والمردة أن يوطئ عساكر المسلمين من بلاد الافرح مالم تطأ قلا من أيام أسلافه . وحدث انه كان للحليفة عبد الرحمن وزيراً اسمه (احمد) نقم عليه أمراً واتهمه بخيانة فقتله وكان لهذا الوزير أح يدعى أمين بن اسحق من بني اسحق أمراء الادلل المروانيين (عمال الادلل في عهد بني أمية ونبي مروان) فحقده . اسحق على الخليفة وعصى في مدينة (شنترين) سنة ٣٢٥ وأحدث بها ثورة عظيمة . ثم التحأ الى (رادمير) ملك الجلالقة ودله على عورات المسلمين وكانت تسهم الواقعة المشهورة بواقعة (الحدق) ذهب فيها من عسكر المسلمين حمسون ألفاً أو يريدون بخيانة هذا المارق ، والأعجب من ذلك أنه استأمن الى الخليفة عبد الرحمن بعد أن ملخص من (رادمير) ووسعه حبله وكرمه وقله أحسن قول

بعد هذا الحادث قعد الخليفة عبد الرحمن عن العزو بنفسه وصار يردد الصوائف (١) في كل سه ثم حهر عسكراً مع عدة من قواده الى الجلالقة وكان له عدة حروب هلك فيها من الجلالقة خلق كثير

أنظر (بولاه هذه العثرة) كيف يكون ملك الادلل مع حليفة مل هذا جمع أشتات الفضائل حيث أعطى القوتين العلية والحرية وروح مبار العلوم والفنون وأدخل في الادلل معاصر كل حجة ورية كل بلد ، وانقاد له المغرب الافصى ، وحت الناس على الأدب الديني فاد مسوا فيه فترقت نفوسهم وسمت الى مراقى الفلاح ، ونشرت الترية القومية تنعم العلم والتهذيب بعير تقصير من العلماء الذين هم روح الامم وحياتها فعت الأمة في خلق حديد ؟

لطيفة له - أقصبا عليك تعلم مها قدر احترامه للعلماء وقدر إعظام العلماء أنفسهم في أيامه لما داقوه من لذة العلم وأحسوا به من شرفه) - اشتاق مرة للفقهاء الامام أنى اراهم فطلبه وكان بالمسجد المنسوب لاني عثمان يسمع طلبته الحديث الشريف ، فعت اليه الحليفة حادماً يدعو اليه فلما حاه وبلعه رسالة مولاه قال له السمع والطاعة ولا عجلة ارجع الى أمير المؤمنين وادكر له عى انك وحدثني في بيت من بيوت الله مع طلاب العلم أسمعهم حديث ابن عمه

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيدونه عنى ، وليس يمكننى ترك ما أنا فيه حتى يتم المجلس المعبود لهم فى رضاء الله وطاعته فإذا انقضى مشيت اليه ان شاء الله . فمضى الخادم ولم يك الارثما أدبى جوابه وعاد يقول : أنهيت الى أمير المؤمنين رسالتك فقال : جزاك الله خيرا عن الدين وعن أمير المؤمنين وجماعة المسلمين وإذا أنت أوعيت فامض اليه وكان ذلك

فحبذا الحاكم والعالم هؤلاء الرؤساء الصادقون المفلحون الذين زينوا وجه الدين وانصرفوا عن المحفظة الباطلة الى الصراط المستقيم ، وعلى فعلهم هذا بى القائل قوله :

ولو أن أهل العلم صانوه صاهم ولو عظموه فى النفوس لعظم
حتى علباؤها لهذا السر يعقبون وهذا القليل يعطون

تهذبت فى أيامه الأمانة جمع ما يؤثر على أهل الاندلس من نوادرهم وحكاياتهم فى العدل ، والوفاء ، وحسن الاعتذار ، والقيام بحق الاغاى وعلو الهمة فى العلم والدنيا والذكاء ، واستنباط العلوم واستخراجها ، وحب العلم واللطف ، ورقة الاحلاق ، والقوة والشجاعة ، والملح وأحوة الملوك والطرف ، والبلاء وعدم احتمال الضيم والدل والانفة والجود والفصل وسرعة البديهة ، والعفو وغير ذلك من الحاصل الحميدة التى تدحل تحت عنوان مكارم الاحلاق جميعها . نما ذلك فى مدته فهو اما نادره أو عارسه أو مميّه أو مستثمره رحمه الله

مضت أيام هذا الخليفة على الاندلس وكأنما هى حبال حالم . أو حديث نائم تولاها . ولم يكن فى بيت المال ما يسد شئاً من نفقات الجند وغيرها . ثم توفى فترك من الاموال المدخرة شيئاً عظيماً حصلوا عن الاحكام الكبير والمحد البادخ حتى لقيه الافرح بالكبير والعظيم

عمر مملكته بالعدل والاحسان فمت البركة فيها وانصهرت هوى الرعايا للسعى والاكتساب ، وابتعد عن الطلامب المفسدة للعمران من تكليفهم بالاعمال . وتسحيرهم بغير حق أو أحد ما يديهم بأحس الاشمال . فقامت الدولة . . . عمرها لا ممان الناس على أموالهم وحرهم ، ودمائهم وأ . . .

كانت الاندلس في زمانه زاهية بالمعارف والعلوم ، زاهرة بالثورة والعى
يعجب الذى يقابلها بحالها اليوم . فأين كثرة الصناعة والتجارة والمعامل
الحريرية والمصانع الغريبة وورش التطريز والوشى والنسج ؟ ومع هذا الكمال
الذى لا يفضله الا الكمال الالهى فقد وجدت بعد وفاته ورقة مكتوبة بخط
يده يعدد بها أيام السرور التى صفت له مدة حياته فادا بها أربعة عشر يوما
نقب الكثير من طلاب الاخبار على هذا الأثر فاعثروا عليه ، وجال في
فهم الكثير منهم تأويل ذلك أو استنتاجه ، فذهبوا أيضا مذاهب شتى . والذى
يدل على الخبر ان صح ان تلك الأيام التى عددها هى أوقات فراغه من أشغال
الملك لان الملك بنى على المشاغل وهى لا تنتهى فادا تم للملك ما يريد وأمكنه
ان يرصد لنفسه وقتا يرى نفسه فيه حاليا عن حاجات المنصب الذى أقامه الله
فيه فتلك سعادة ما فوقها سعادة ، وقد قال قوم غير ذلك وكثر القول حتى ألف
بعض الأجاب رسالة . فى تلك الايام ذهب فيها منذهب القصص
و « الرومان » فاصعب هذا التخمين ذلك اليقين والله أعلم

وخير ما فى المسئلة ان ينظر العاقل لهذه الدنيا وعدم صفاتها ، وبحالها كمال
الاحوال لاوليائها . هذا الخليفة الناصر حلف السعود المضروب به المثل فى
الارتقاء فى الدنيا والصعود ملكها حسين ستة وسعة أشهر وثلاثة أيام ولم
تصف له الا أربعة عشر يوما . فسحان ذى العزة القائمة والمملكة الدائمة
لا إله الا هو ثم يستكثر فى أعماله من كل حير ور فما الحياة الدنيا الا متاع العرور
لاتغبط الاقوام يوما على ما أكلوا خضما وما سربلوا
بذبل غصن العيش حقاً ولو أضحى ومن أوراقه يدل

— ١١٠ —

الحكم المستنصر بالله

هو الحكم المستنصر بالله بن الخليفة عد الرحمن الناصر وولى عهده من
بعدد . ادبها سرى الملك يوم وفاة أسه به الحبيب ، وقام باعبانه أمه قام ،

وأنفذ الكتب الى الآفاق بتمام الأمر له ، ودعا الناس الى بيعته واستقبل من يومه النظر في تمهيد سلطانه وتنقيف مملكته وضبط قصوره وترتيب أجناده . وأول ما أخذ البيعة على أهل القصر ، ثم على اخوته وكانوا يومئذ ثمانمائة فوافي جميعهم وحلس وحلست الناس للبيعة طبقة طبقة كما هو مفصل في مواضعه ، فلما تمت أدن للناس بالانقصاض ثم أحد هو واحوته في تشييع جنازة الناصر لفصر قرطبة للدفن هناك في تربة الخلفاء

وقدت عاياه الوفود للبيعة والتاس المطالب وقدمت من أقاصي البلاد فجرى على رسم أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر رضى الله عنه في سلوك سبيل القصد ، واتباع طريق الرشيد واحتذاء حس الأثر حتى قالوا ان الاندلس لم تفقد الا شخصه وصح عليه قول أنى الحسين في مدوحه أنى العسائر

ياس من كلما بدوت بدالى عائب الشخص حاصر الاحلاق
لو تنكرت فى المكر عليهم حاموا لك انسه بالطلاق
استخلف على عمله أهل الفهم والمعرفة ودوى الدس والورع والدعة ،
والفقهاء المشهورين بالعلم والكفاية ، والعلماء الجامعين للرواية والدراية ، حتى
طهر فى عيون الاعداء والأصدقاء بمظهر الكرامة والاحترام

أهدى للحكم فى أوائل ولايته هدية جمعت أحر الآثار العظيمة والعم الزائدة
من ممالك كأنها الانصار ناشية على ظهور خيول صافرة كابلو الشكة
والأسلحة يسحى بهم حلق العدو الماوى والحصم المازل والسيوف والرماح
والتراس والقلاص الهدية والدروع والحدود المخلفة الا حاس . فكان لذلك
مفتخر حليل ومحتفل حمل تضاعف به اغساط قوه حرمة الملك واسطال به
عماده على جميع المملكة

غرا نفسه لاول وفاة الخليفة الناصر حيون الحلالقة الدس ضمه .
التعور واقتحم بلد (فردلد) وفتح (استنس) عوة فادروا الى عهده .
واقبضوا عما كانوا فيه ، تم أغرى عالماً مولاه بلاد (حلفه) . الى مدينة
سالم لدحول دار الحرب فجمع له الحلالقة وقسمهم العساكر لا

(مردلند) وغزا (شانجه بن رادمير) ملك الشكس وقد ساعده ملك (الحلاينة) فهزمهما وقصد بلاد برشلونه. وبلاد القومس وعظمت فتوحاته وظهرت همة قواده ومرابطى ثغوره فى كل ناحية وكان من أعظمها فتح (قبريه) و(قطويه) ثم دخلت سنة ٣٥٤ فابتنى حصن (عرماح) وظهرت فى هذه السنة مراكب المجوس (فى الاطلانطيق) وأفسدوا (اتسونه) (١) فناشهم أهلها القتال فرجعوا الى مراكبهم وأمر الحاكم القواد فخرحوا لحفظ السواحل، وأمر قائد البحر بتعجيل حركة الاسطول، وبأن يهبط من كل جهة من السواحل

تم له ما أراد مع ملوك الشكس وغيرهم وعاهد (لذريق)، ووفدت عليه أمه بهدايا ملوكية عظيمة ووصلته ووصلها وحملها أحسن حمل وأحزل عطاها أوطأ عساكره أرض العدو من المغرب الأقصى والأوسط، وتلقى دعوته ملوك زناتة من مصراوه ومكاسه، فتوها فى أعمالهم، وخطواها على مبارهم، وزاحوا بها دعوة الشيعة فيما بينهم، ووفد عليه من بى الحز وبى العافية، فأجزل صلتهم، وأكرم وفادتهم، وأحسن مصرهم، واسترل بى ادريس من ملكهم بالعدوة فى ناحية الريف وحلاهم الى الاسكندرية

أما خلاله الشخصية فقد كان آية فى الفضيلة. سمع من أحلاء وقته وأجار له ثابت بن قاسم، وكتب عن خلق كثير، وكان محمدا للعلوم مكرما لاهلها جماعا للأثار الثريفة والأسعار الكريمة والكتب القيمة على اختلاف أنواعها، فسق من تقدمه وجمع ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، فأقام للعلم سوقا وحدد للعلماء شوقا، وظهر هذا المطهر فجلبت اليه بضائع الفضل من كل قطر وحسبك نخزاة جمعت من الأسفار ما اقتضى لاستيفاء مهرستها (أربعة وأربعين حزما) جمع مقداراً صاقت خزائنه عنه، وكان ذا غرامها وقد آثر ذلك على كل لذائذ الملك وأغراض الملوك فاستوسع عليه ودق نظره وجمعت أسفادته، وكان فى المعرفة بالرجال والاحبار والاسباب ثقة فيما يقوله ومن أشد ما يتعجب منه وقد اتفقت على روايته الرواة أنه قلبا يوحى كتاب فى خزائنه الاولى فيه قراءة فى أى مر (كان وعليه تحاريج بعرايب لا تكاد توحد الا عنده

أنحفه أبوه (الخليفة الناصر) بأحسن ما يتحفظ به والد ولده فقربه من العلماء وقرب العلماء منه ، ومكن بينه وبين كل وافد على الاندلس من المشرق من العلماء فكانت نفسه روحانية صرفاً . وفد أبو على القالى صاحب كتاب الآمالى على الاندلس من بغداد ، فأكرم الناصر مثواه ، وأحسن منزلته وأعلى قدره واختصه بالحكم فأورث أبو على لاندلس علمه وأفاد الحكم بأحسن ما عنده

قويت عند الحكم رحمه الله مادة حب العلم حتى كان يبعث بالتجار الى الاقطار ومعهم الأموال لشراء الكتب واستجلاب المصنفات من الاقاليم والنواحى باذلاً فيها ما أمكن من الأموال بما لا ينفعه غيره حتى جلب للاندلس ما لم يمهده علماءها . هذا كتاب الأغانى بعث فيه لآلى الفرج الاصفهاني مصنفه بألف دينار من الذهب العين فبعث اليه بنسخته قبل أن يخرج به الى العراق وكذلك فعل مع القاضي أبى بكر الابهري فى شرحه لمختصر بن عبدالحكيم

جمع بداره الخذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والاجادة فى التحليل ، فأوعى من ذلك كله واجتمعت بالاندلس خزائن من الكتب لم تكن لاحد من قبله ولا من بعده ولم تزل بقصر قرطبة حتى أصابها مصيبة البربر عد دحوهم اليها عوة ، ولا حول ولا قوة الا بالله

يطيش الانسان عند ما يجد خليفة مثل هذا استشعر الناس فى رمن حلافته بالمسرة والمعزة والقوة فى الدين وحماة المسلمين ، وعلا به كعب أمرائهم وسمعت هوسهم بواسطة آدابه الى كل عمل سريى وأفاضوا بالتحدث فيه ، وكانت للخطباء والشعراء ميادين ومقامات يطول القول فى احضارها وسه به مجهولة عد كثر من الناس وعد مائتة الترق بأحميم ، فان سئلوا عن ملك عالم مثلاً فأقرب ما يحدثونك به سيرة (كارلوس الاعظم) أو (لويس الرابع عشر) نعم اهما كانا فى تعصيد العلم وتنشيد أدكاه آنس ولكنهما ليسا بمفخر المسلمين . أراد الافتحار ، وأولى به ان يلم ببحر نفسه ودينه وملكه وتاريخ مكد . حياة خطفاء الاسلام ، فى ذلك من الجبه الكثير ما يربو على ما علم . ولا يكون مصداقاً لقول الشاعر .

(كشاركه يعضها بالعراء وملحفة يعض أخرى خناحاً)

يصح أن تكون هذه الخلافة خاتمة خلفاء الاندلس ذات الدولة العظيمة والثروة الوافرة والمجد الباذخ ، لانه لما توفى الحكم رحمه الله فأول ما حدث أن قتل المغيرة أخوه وهو المرشح للحكم ، وولى بعده ابن الحكم هشام وكان صغيراً سنه تسع سنين ليم لابن أبي عامر في الدولة ما يريد كما سيجيء تفصيله ان شاء الله . ثم ولى المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وهو أول خلفاء الفتنة ثم انتهى الامر بسقوط الدعوة للخلافة الاموية واستبدت ملوك الطوائف كما سيأتى

كانت الدولة الاموية من أعظم الدول مكاناً وأشرفها موقعا ظهرت فيها منافع كثيرة للحضارة والمدنية عامة وللأمة العربية خاصة يكاد السامع بها لا يصدق بزوالها كما تنما عليها مسحة من بقاء ودوام زراعة متقنة وصناعة رائجة والمدارس تخرج حكماً وعلماء وقواداً ، وأطالاً شداداً ، وفلاسفة مرشدين وكتبة وحسة من أحسن الكتاب المقربين ، وشعراء مصنفين ، وصاعا مهرة مبرزين في فنون البناء والتصوير والنقش والتزيين لاتزال آثارهم تدل عليهم وتشهد بفضلهم ، وشهادة العدو الماوى أعدل شاهد

حجت اليه ملوك الارص قاطبة يستشرفون معاليه باجلال
يصد مطمع من ناواه متكساً يحيه عن حدود تمال تمثال

ولكن ما الحيلة في احتدام حروب النفوس الشريرة ، وزول بلاء سوء الاخلاق ، وانقراض الدول وانحطاطها بيد أهلها . يحق للسائل أن يسأل أين ذه . هذه العظمة وكيف وهى هذا الركن العظيم وما هو ذلك الشيء الجسم الذى أدى لهذا . لعل السريع في الخلافة الاسلامية في المغرب ، والظاهر أن السبب في ظهور روح الشقاق والخروج على السلطان من الامة والطمع في الخلافة من كل من له وشيعة رحم بالخلفاء حروح الخلفاء أنفسهم عن المنهج الشرعى والاتجاه لغيره ، ولذلك سبب كثير من المحققين احتلال هذه الخلافة لعدول سد الرحمن الاول (الداخل) عن البيعة وميله (لولاية العهد) فقد عهد بالخلافة

لأن بعده من ولده وخص بها (هشاما) الأول فكبر ذلك على أخويه الكبيرين سليمان وعبدالله وخرحا عليه وحاولا سلب الخلافة منه فتغلب عليهما وعفا عهما ، ثم خرحا بعده على ولده الحاكم وطلبا قسمة البلاد معه . ويقولون ان نار هذه الفتنة كانت مضطربة ، ولكن قوة الحاكم القائم بالملك أوفت الناس عند حدها زما وردتهم على أعقابهم عهدا . ثم لما انصرم هذا العصر حدث ما حدث وانه لو حرى المسلمون كعادتهم في الاختيار والانتخاب لسلخوا من هذا البلاد فان هذا الحادث أوجب في نفوس العيال طمعاً كبيراً وحدث كل نفسه في حلوته بما حدث ، فكانوا يخفون أمرهم في إبان القوة خوفاً على مناصبهم ويظهرون كمال الطاعة والالقياد في ظاهر الامر ويستعدون لنوال مقاصدهم سرا ويتربصون بالخلفاء الدوائر حتى أضرم القتال في شمال البلاد ولاية سراقطة وطليطلة وحوسقة . ثم توالى الثورات حتىزلت المملكة بزلالها وأورثتها خالاً بوبالها وقويت الامراض حتى أضعفت حراح الدولة (وكذلك الظلم كمين في النفس القوة تظهره والضعف يخفيه) وفي الحقيقة ان مناهج الخلافة الشرعي - وهو جعل الحل والعقد والى الكت والقتل وسائر الشؤون العامة مقيدة بالشورى المتبعة بحسب للأمة معالى الامور وهذه أنام الخلفاء الاربعة ، وعصرهم من أعدل الشواهد على ذلك ، والعدول عن سر هؤلاء الخلفاء يدفع بالامه الى السعاسف ، ويحط من مهانة صاحب السلطان ، ويحصر من شوكره ، ويستفحل في عصره أمر التوار والخارجين عليه ، لانهم يلحطون من ذلك انه انعمس في العيم المضعف للنفوس عن الحرب والجهاد وأهمل أمر الصانع والزاريح . وان الامة أصححت في مدته اتناعاً لكل ناعق ، وان البراءة الموهمة به موهودة بالمره ويتبع هذا عدم تعميم التعليم والتهديد اللدس هما من أهم ما جاء به الدين الحنيف الاسلامى ، فاداً وقع ذلك فليترقب كل عاد وبلاد .

٢٤٦٤-٢٤٦٥-٢٤٦٦

ملوك الطوائف

هذا العنوان يصح أن يطلق على الملوك من أصحاب الأطراف الذين يملكون

تُكلُّ في بلاده على أثر انقراض دولة قوية، وهو حال يعرض لكل دولة متى أحطت حكامها وأمرؤها من شأنها، وأضعفت من صولتها حتى علم العدو بمكانها من الضعف، وأصبح أمر انحطاطها ظاهراً، والقائم عليها لا يقدر على جمع النفوس المقترة، وتأليف الآهواء المختلفة، وكف الآكف العدية، ورد جماع العزائم الفاسدة. يعرض لها بعد أن يفارقها حس الرأى، وحيد القرية وسديد الطر، وصحة احتار الأحوال، وحس اختيار الرجال، وغير ذلك من المعاني التي تذهب من هذه الأصول الشريفة، وتتعلق بهذه الفصول الرفيعة. فإذا أصبح القائم غير ماهض بما حمل، ولا مستقل بما قلد، ولا ناهد الأمر فيما هو له أهل من الأمر والهي، ولا مؤدما استودعه الله من أمانة الحكم على عباده، فهناك الانقسام وهناك ملوك الطوائف

ظهرت ملوك الطوائف على أثر انقراض (الدولة الرومانية) وقامت كذلك على أساس (الدولة السكيانية) في بلاد الفرس بعد أن قتل «دارا» آخر ملوكها واستولى «الاسكندر» على مملكته وهبص بها في المغرب أيضاً أهل السوء الذين لا يميرون طالب الحق من مكروه، وحاحد الصدق من منتظره (حال احتلال الدولة الأموية) كانت ملوك الطوائف بالاندلس عقب انتثار عقد الخلافة الأموية، وما اتاب هذه الخلافة من الضعف لآخر عهدها، وما كان من حلع الحدة لقتام آخر حلفائها واستنداد الأمراء والرؤساء والوزراء وكبار العرب والبر بالاطراف واقتسامهم حططها وتغلب بعضهم على بعض واستقلال قوم على قوم واشتداد الفرقة بينهم وبلوعهم في الجهل درجة أدت بهم إلى الترفل لأعدائهم ملوك أسانيا فيدهمون الحزبة لهم (عن يدوهم صاعرون) صونا للملكهم (سأ ما يتوهمون) وبأنهون من ارتناطهم مع بعضهم وهم من عصر واحد ودين واحد وملة واحدة

هدمت الدولة الأموية (بعد أن كانت أرفع الدول عماداً وأعظمها شأنًا وأصخمها سلطاناً وأكثرها حدوداً وأمدتها سلطة وأعلاها دكراً وأبعدها اسماً) بسب سوء الحلال، وفساد الطباع، وحصال السوء، ودناءة الاخلاق،

وخبت السرائر والطباع التي خالطت القلوب بتقرير الدخلاء ومصادرة المعسدين من أعدائهم مازالوا بهم حتى أنسوهم خاصة وعامة مكارم الاخلاق ، فلا لؤظه بعهد ولا أمانة ، فاقبلوا على بعضهم ، وجعلوا بأسهم بينهم ، وفشت كراهة الاموى للقرشى ، وتحول الأمر من المضرى الى اليماني

وتفرقوا شيعاً فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

تفرق ملوك الطوائف واقسموا الاندلس فتجزأت بعد أن كانت مجتمعة وأصبح بأشيلية وأعمالها (محمد بن عباد) وبیطليوس وأعمالها (محمد بن عبد الله المعروف بالافطس) وبطليطة وأعمالها (ابن بعيش) وبسراقسطه وأعمالها (سليمان بن هود الجذامي) وبطرطوسه وأعمالها (لبت العامري) وبيلنسية وأعمالها (المنصور المعامري) وبالسلة وأعمالها (عبد بن رزن البربري) وبوانيه وأعمالها (الموفق العامري) وعمرسية وأعمالها (بنو طاهر) وبالمرية وأعمالها (خيران العامري) وبمالقه وأعمالها (بوحمود) وبغرناطة وأعمالها (حبوس الصنهاجي)

بهذه الصفة تفرقت دولة بني أمية ، وساهت ملوك الطوائف في أحوال الملك (كأنها أحسنت صنعا ،) فاصحوا طرفاً في الترف ، وهايت في الحضارة حتى قلدوا الخلفاء في الالقب والعوت ، وجعلوا هم حجاباً يتكلمون عنهم وهم وراء الستر . وصح عليهم قول (شارل مارتيل) حياً فزع اليه سكان فرنسا ليسستروه فيما يفعلونه مع العرب في عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ : املوا العرب حتى تمتلئ أيديهم من العائتم ، ويتخذوا من المساكين ، وينافسوا في الاستعانة . ويسعين بعضهم على بعض ، وتفرقهم هذه الصفات التي تغني عن كثرة العدد والقلوب التي دوماً حصانة الدروع ، تم حدودهم بعضهم

أخدم ملك الاسلام في الاندلس في التصعصع ، وملوكه في التفرق وحده منهم ما أوجب علماء الأمة ، وأما الملة ان هي تحواز الحرب معهم لانها عن الاستقامة ، ومساعدة بعضهم للأسابول . وطهر في اساءة دلائل

النصر والاعانة ، ثم طال به العهد لاشتغال يوسف بن تاشفين بالفتح ، فذهب اليه والتقى به وكان ما كان من دخوله الاندلس وحرية مع القونس السادس ملك قشتالة في واقعة من أكبر وأشهر وقائع المسلمين بالاندلس ، ووفقه لامتلاك بعض البلاد ، ونفوذ الكلمة في المغرب ، ضابطاً لمصالح مملكته ، مؤثراً لأهل العلم والدين ، كثير المشورة لهم حتى ان الامام الغزالي رضى الله عنه لما سمع بجهته عزم على لقائه ولكن الموت حال بينهما

انتقل الملك بعد وفاته لأولاده ، ولم يكن فيهم من أهل الحوطة والصون ما يكفي لتسكيل أعداء الله ، والدولة طائحة في هوة الهلاك ، فانقرصوا في سنة ٥٤٢ ، وقامت دولة بني الأحمر وهي آخر الدول الإسلامية في بلاد الاندلس . ومها استرجع الاسبانيول ما كان بأيدي المسلمين ، وبهم انقرضت الدولة الإسلامية من اسبانيا . لا بأس بأن نلم بعض الامام شئ من الاسباب الظاهرة التي كانت سبباً لهذا التفرق والانقسام آل الحكم الى هتاف من الحكم وهو صبي صغير لا يتجاوز عمره تسع سنين مضجع عاجز عن القيام بالملك فقام به كاهله من ورراء أبيه (أبو عامر) فحجب الصبي عن الناس ، واستبد بالملك ، واستحكمت له صبغة الرئاسة ، وتحول الملك اليه ، وآثر به عشيرته وأساؤه ، وسماه به أمل التغلب فكر بأهل الدولة وضرب بين رجالها وقطع بعضهم بعض ، وصار كأعظم ما يكون ملكاً وسلطاناً

هلك والخلفاء من بعده ملعة لاعب ، لانه جدد في الاذهان طريقة التوب على مقاماتهم العالية ، وحمل الخلفاء على القناغة بالآبهة واللدات وأساهم عهد الرجولية ، فقامت الناس من بعده تطلعوها هتافاً وقتلوا الله ، ثم ولوا الحكومة عبدالرحمن المرتضى ثم قتلوه وهكذا المستظهر والمستكني ، ثم تطلعوها هتافاً وأمية ابن عبدالرحمن الذي انتهت به الخلفاء في الاندلس وعدتهم ستة عشر خليفة في مائتين وأربع وثمانين سنة

تدمع عين القاريء من شؤم ماجرى في هذه البلاد ، وسوء ماوقع بها أذتر مما صحت سبه وانشرح صدره سرور أندحول طارق بن زياد أولاً وموسى

ابن فضير ثانيا ، وما شيدا فيها من دعائم المجد واعلام الهدى
ان حزننا في ساعة الفقرة اضعاف سرورنا في ساعة الميلاد
قاتل الله الجهل والشقاق ، آباد هذه المملكة بعد ان كانت محتجعة اعلام
الانام ، ومقر سرير الخلافة ، ومركز الكرماء ، ومعدن العلماء فليقس من كان
شأنه القياس من الناس حالا بحال ، وقفا بفتح لينكشف له ما حدث
وليتحقق ما جرى

قامت دولة بى الأحمر المنسوبين الى سيدنا سعد بن عباد سيد الخزرج
ويران الدسائس مشتعلة بيد الأعداء ، وقد كثرت أمر الثوار ، وما زال العشل
مستمر بين العدو مرة وبين المسلمين وبعضهم أخرى ، والقائمون بالأمر بعضهم
يقتل وبعضهم يخلع ، والمدن والقرى في فن وخطوب يطول شرحها ، والبلاذ
تفرض من أطرافها بسبب الخدلال الذي أدى اليه الشقاق حتى لم يبق لـ الأحرار
الاعرناطة وأعمالها ، فأقبل العدو بجيشه المركب من جيوش قشتالة واراغون
نمده (أوروبا) فلم يكن منهم الا انهم أفسدوا الزرع ، وقطعوا الأشجار ؛
وهدموا القرى وشددوا الحصار على المسلمين الى أن تمكن فصائل الساء ونزل
التلح وانسد باب المرافق واقطع الحالب وقل المطعوم والطاعم واشتد الغلاء
وعظم البلاء ، فلم يكن من أهل العلم والوجاهة الا ملافاه السلطان أبى عبد الله
فاجتمع الناس اليه ورأوا أن ارتكاب أحب الضررين بالصلح أولى ، واتفقوا
على شروط عقدت تم قرئت ووافقوا عليها وكست بها السعة ، ونزل السلطان
من غرابطة عن كرسيه ، ولا حول ولا قوة الا بالله

اشتملت هذه الشروط على سعة وستين شرطا منها تأمير الصغير والكبير
في النفس والأهل والمال وإقامة السرعة على ما كانت عليه فلا يحكم على
أحد إلا بتريعه ولا يولى على المسلمين نصرا ولا يهودى وأن لا يأخذ
أحد مدب غيره ولا يحجر أحد على ترك دينه ولا يبيع مؤذنا ولا صائما ولا مصل
عما هو قائمه اليه إلى آخر ما هو مدون بها من نصية الشروط التي وضعت بها حق الطرفين
وافق كلهم على هذه الشروط حتى صاحب رومه ووضع خط يداه

ولسكن الاسانيول لم يراعوها الا ريثما تقدموا في الامر وتمكنت قدمهم وعذبوا
أن لاناصر للمسلمين من ظلمهم فعدلوا عن مراعاة تلك الشروط معهم وأذاقوهم
أنواع العذاب والاضطهادات خصوصاً لما تشكلت المحكمة المعروفة بمحكمة
(التحرى القيسى) (انكيزيون) فكان لها من القسوة ما يجعل كل من كان
في قلبه ذرة من المروءة والاساية

أنشئت هذه المحاكم بأمر الباباوات (مصدر الرحمة والاحسان) خدمة
للدن في طاهر الامر ولكها سياسيه ناطاً ، فأتى الاسانيول أعمالاً بربرية وحشية
فاحرقوا الزرع وهدموا الدور وعيروا وندلوا بالمعالم الثابتة والآثار الجميلة
ظلموا وعدوا ، فادأ آثار المسلمين بتلك الاطراف نائدة لم تقم منها الا ما صح
عليه قول القائل :

كاد الليالى وكادته مجالدة وانكف عاديها من بعد تقتال
ثم انتت وساء... ربح حرق وان كسته لكيد ثوب أثمال
كلت يد الاعداء عن إبادته كما صنعت يد الدهر عن فثاته ، ففيه للآن بقية
يندهش منها الانسان تدل على المعارف والصون التي كانت في تلك البلاد تنشد
لسان الآثار والعماثر والمباني والمدن والساكر وعجائب الرسوم ودقة النقوش
واحكام الساء ان أهلها بلغوا الهاية من الارتقاء والغاية من مدارج العلاء وتندر
الباس بأن الحبل معول يقتلع الرواسى الشاحنة ، ويحط الى حضيض الثرى اذا
كان العلم يرهبها للتريا

لا يستطيع انسان أن يحدد حسن حال اسبانيا ١ عصر الدول الاسلامية
من مؤرخى العرب اتفقوا مع مؤرخى العرب على ان الاندلس كانت في
مدة الدول الاسلامية في رواج عظيم ، وأنها اشتهرت في خلافة عبد الرحمن
الثالث اشتهاراً لم يكن لها من قبل ولا آتى لها من بعد ، لاعتنائه بالمعارف
واشائه المدارس وتنشيطه الصنائع وتوسيعه دائرة الصناعة ، حتى زاع صيتها
تقاطرت اليها الطلاب من كل البلاد وسادت على العالم وقد اعتمدنا في
هذا هذه العبارة الصعرة التي يؤخذ منها ما كاذب عليه وما صارت اليه من

فأقره المعارف في الكلام على نقطة أسبانيا سببها ~~التي كانت~~ بأنها تستقى وتستمد في نقولها على الغالب من مؤلفات أجنبية قال المؤلف :
 (ان الصناعة في أسبانيا كانت ذات رواج عظيم في القرون الماضية واشتهرت
 بها في القرون المتوسطة منسوجات الصوف والحرير المصنوعة في اشيلية
 وغرناطة وياسه والأجواخ المصنوعة في مرشيلية والاسلحة المصنوعة في
 طليطلة غير أن جلاء اليهود والعرب من اسبانيا وحصر حقوق البيع وال
 بمصنوعات معامل الحكومة والرسومات العظيمة التي جعلتها الحكومة
 مصنوعات المعامل الخصوصية التي كانت تتضاعف بطمع مأموري الرسو
 سبب سقوط الصناعة في أسبانيا)

كان في اشيلية في القدم ١٦ ألف محل لصناعه الحرير فعاتها ١٣٠
 شخص ولحد سنة ١٦٧٣ لم يبق منها سوى ٤٠٥ محلات . وكان في شعوية
 معامل يخرج منها سنويا ٢٥ ألف شفه من الحرير وفي سنة ١٧٨٨ لم يخرج
 منها الا ٤٠٠ شفه فقط اه

وعلى هذا العذر نهاس . والواف على نوارح أسبانيا علم ما كان لليهود
 فيها من سمو المقام والقدم في الآداب أزمان العرب والاسلام . وازالكبير
 مهم كانوا يصون العلوم العبرانية أي افعال . ولم يقل أحد بأن العرب
 اداقهم مراره الجلاء عن بلادهم كما وقع ذلك لهم في عهد الحكومة الاسبانية له ،
 بل وقع الأمر على العكس ، فان المؤرخين على اجماع بأن أعظم الآفات التي
 سهلت لليهود والصاري سل الانصمام والارباط في هذه السلاص صدمت
 هي ان الدول الاسلاميه حفظت لهم استقلالهم . فلم يعسر عليهم ان يكونوا
 مملكة بعد . ومن هذا أيضا ما فعله الدولة العثمانية مع بعضها من غير المسلمين
 في الروملي وعمره . حفظت لهم كتابهم فصلاص اسفلاتهم ، فلما ناجر ج
 عليها باغراء الدول لم يحدوا ما يعوقهم عن العمل لعرضهم . لا هم بمحمعون منحدون

تم طبع الجزء الثاني من كتاب حماه الاسلام

﴿ فهرست الجزء الثانى من كتاب حماة الاسلام ﴾

صحيفة

- ٢ نبذة تاريخية على انتقال الخلافة للعاسيين
٦ ترجمة ابن مسلم الخراساني
١٣ موعظة
١٤ أبو جعفر المصور
٢٢ المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور
٢٧ هرون الرشيد
٣٤ المأمون
٣٩ كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون الرقة ومصر
٤٨ المعتض بالله
٥٢ المتوكل على الله جعفر
٥٨ نبذة تاريخية
٦١ الامام أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه
٦٥ القاضي أبو يوسف رضى الله عنه
٧٠ الامام مالك بن أنس رضى الله عنه
٧٣ الامام محمد بن ادريس الشافعي
٧٥ ذكر ثناء العلماء عليه بسبقه في العلم والفضل
٧٦ ذكر بعض حكمه رحمه الله تعالى
٧٧ الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه
٧١ نبذة تاريخية عن مصر
٨٤ المعز لدين الله

مجمعة

- ٩١ عبد الرحمن بن معاوية
٩٥ الحكم بن هشام
٩٨ عبد الرحمن بن الحكم
١٠٣ عبد الرحمن الناصر
١٠٩ الحكم المسمتصر بالله
١١٤ ملوك الطوائف

تم فهرست الجزء الثاني من كتاب حماه الاسلام
والحمد لله أولا وآخرا

